الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم: .....

حركة التدوين التاريخي عند الموحدين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

ودود زهير

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
جمال الدين بن مجدوب	محمد بوضياف –المسيلة	رئيسا
محمد حصباية	محمد بوضياف –المسيلة	مشرفا
جمال البوس	محمد بوضياف –المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية1439–1440هـ/2018–2019م

شـــــكــر وعــرفــان

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما .

إلى تلك الشموع التي تحرق نفسها لتضيء درب الآخرين ، إلى الذين يبنون النفوس وينشئون العقول .

الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد حصباية الذي لم يبخل علينا بإرشاداته وتوجيهاته القيّمة .

كما نتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ والى الزملاء

وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل .

ا-تمهيد

خلال منتصف القرن السادس الهجري شهد المغرب الاسلامي تغيراً جذرياً في الواقع العام للحياة السياسية ، بدأ هذا الواقع بدعوة رجل يدعى المهدي بن تومرت، الذي استطاع في فترة وجيزة القضاء على الدولة المرابطية ، التي يرى الكثير من الباحثين أن سقوطها تمّ في فترة قصيرة وهي في عنفوان قوتها، اذ كانت تقوم بدورها على أكمل وجه في صد النصارى وحماية حدود الإسلام في الاندلس، و ان الموحدين لم يقوموا بدور أكثر مما قام به المرابطون في الجهاد، وما اثار الباحثين هو الدور الذي قام به كُتاب الموحدون في الدعاية لهذه الدولة الناشئة واظهارها انها على الحق والحق وحده، بينما غيرها على الباطل والكفر، والمتتبع لكتابات المؤرخين الموحدين يلاحظ ذلك جليا في كتابات البيذق وابن صاحب الصلاة ، وغيرهم ولاتزال اثار ذلك الجدل محتدماً إلى اليوم بين الباحثين.

ب-أهمية الدراسة:

تتمثل اهمية الدراسة في التطرق الى الكتابة التاريخية التي الفت في هذا العصر من مختلف الجوانب اضافة الى تتبع النشاط العلمي الذي شهدته الدولة الموحدية ،ومناهج المؤلفين في هذا العهد ،كما اننا نلاحظ قلة الدراسات المتخصصة في هذا الشأن.

ج- إشكالات البحث:

من خلال التعمق في البحث بدأت تتضح لنا إشكالات التالية :

بالنسبة للإشكالية الرئيسية للموضوع، تندرج في التساؤل حول فاعلية حركة التدوين التاريخي عند الموحدين؟

تندرج ضمن هذه الإشكالية الرئيسية العديد من الأسئلة الفرعية:

-البحث في موضوع تاريخ التدوين مفهوماً ونشأة؟

-البحث في أهم نماذج حركة الرحلات الجغرافية بالغرب الإسلامي المعاصرة للدولة الموحدية ودورها في فتح الطريق للتدوين التاريخي والجغرافي حتى تعطينا صورة أوضح عن هذا النشاط قبل الموحدين أو حتى بعدهم؟

-التعرف على أبرز المؤلفين في التدوين التاريخي ومدى تأثر الكل بالدعاية للدولة الموحدية، وبفكرة المهدوية التي أنشأها المهدي؟

د- منهج البحث :

المنهج المتبع من المواضيع التي تهم الباحثين في الكتابة التاريخية، حيث نجد من الباحثين من اتخذ منهجا معينا ومنهم من قام بالمزج بين المناهج المختلفة ،ولدراسة هذا الموضوع اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي للوصول الى الجوانب الموضوعية في اطارها التاريخي من خلال قراءات متعددة للعديد من المصادر والمراجع المتخصصة ذات الصلة بموضوع التدوين التّاريخي حتى يستتى لي وضع تصور تاريخي حول تتبع مراحله ، ثم التزمت المنهج التحليلي للوقوف على مدى فاعلية حركة التدوين و أبرز أقطابها سواءً كانت كتابة تاريخية أو جغرافية أو دينية .

هـ-عرض الموضوع:

بعد التشاور مع المشرف اتفقنا على تقسيم الموضوع الى فصلين، على أن يسبقهما فصل تمهيدي:

الفصل التمهيدي الموسوم ب :"**التدوين التاريخي من النشأة حتى مستهل الموحدين** " ،حاولت فيه ان اتحدث عن ظهور التاريخ كمصطلح والتغيرات التي طرأت عليه كمفهوم ونشات التدوين التاريخي بالغرب الإسلامي ثم التحدث عن الإطار التاريخي للدولة الموحدية .

الفصل الأول: جاء تحت عنوان : **كتب الرحلات والجغرافية في العصر الموحدي** : وكان حقلا مهما في الدولة الموحدية ، حاولت فيه التحدث عن اعلام الرحالة والجغرافيين في

العصر الموحدي مع إعطاء نبذة عن حياتهم ورحلاتهم والكتب التي ألفوها، وقربهم من البلاط الموحدي او العلاقة مع السلطة الحاكمة، ثم نظرة الرحالة الى الأماكن التي زاروها، والعلاقات التجارية ونظرة المجتمعات الى المغاربة، وكانت غنية جدا كمادة تاريخية في دراسة المجتمعات والاقتصاد والسياسة بالدول التي عاصرت الموحدين والأحداث التاريخية التي حصلت في عهدهم .

اما بالنسبة للفصل الثاني والأخير فعنونته ب **كتب التاريخ والتراجم والنوازل في العصر الموحدي :**

تطرقت فيها لنوعين من الكتب، كتب التاريخ العام التي أرخت لتاريخ الموحدين وغيرهم ممن سبقهم ثم حاولت التفصيل في كتب النوازل مبرزا دورها في اظهار ما يسمى بتاريخ الفئات المهمشة بعيدا عن التاريخ البلاطي، والتي تعد عن الباحثين مهمة جدا .في التعرف على الظواهر الاجتماعية والمشاكل التي كانت سائدة في ذلك الوقت ،ثم كتب التاريخ الخاص التي اهتمت بتاريخ الموحدين خاصة في الفترة المتقدمة من نشأة دولتهم.

و- نقد المصادر والمراجع :

1- المصادر :

المصادر هي المستندات المتقدمة في الزمن المواكبة للأحداث والوقائع ومن المصادر التي اعتمت عليها هي :

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار او رحلة ابن جبير : افادتني كثيرا في الفصل الأول والتي الى جانب غناها بالمعلومات التاريخية و التعريف بالطرق البحرية والبرية التي كان أهل المغرب يسلكونها للحج والتجارة، إضافة الى حالة المسلمين في الأقاليم التي انسلخت من الحكم الإسلامي الى وقتنا الراهن كحال صقلية أو التي استردها المسلمون كالقدس، إضافة الى ولاء ابن جبير للموحدين .

الاكتفاء في أخبار الخلفاء لابي الحسن الروحي :

وهو من كتب التاريخ العام والذي أرخ الكاتب فيه لأخبار الدعوة الإسلامية والدول المتعاقبة، اذ ان صاحبه من الكتاب الذين انحازوا للموحدين في كتاباتهم، لذا وجب النظر في مواقفه .

نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان لابن قطان :

مِن كتاب البلاط الموحدي وكتابه ينضح بمدح واجلال الامراء الموحدين ومؤسس دولتهم خاصة وانه عاصر أُفول الموحدين وغروب شمسهم والصراع بين أفراد البيت الحاكم على السلطة .

اخبار المهدي بن تومرت للبيذق :

وهو المصدر المهم جدا لأي باحث في التاريخ الموحدي لكنه أيضا من المصادر المتحيزة جدا للموحدين، استفدت منه في طور نشأة الدولة، والاحداث الجارية في حياة المهدي خاصة انه يتوقف عن التدوين في وقت مبكر جدا من عمرها.

العبر:

يعد من المؤلفات المهمة التي ارخت للموحدين ويقدم فيه اخبارا على الأهمية بما كان لتاريخ هذه الدولة والذي كان على خدمته لدول قامت على أنقاض الموحدين الانه وافق الدعوة الرسمية الموحدية في النسب الشريف للمهدي بل وبرر له، هذا الامر الذي استنكرته المصادر التاريخية المعاصرة للموحدين.

2- المراجع :

اختلفت المراجع باختلاف الفصول حيث اعتمدنا في الفصل الأول حيث اعتمدنا في الفصل التمهيدي على كتاب منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، وهو كتاب يتتبع الكتابة التاريخية في القرون الأولى مما يعطي لمحة عن تطورها لاحقا، إضافة الى كتاب **عبد الله العروي الموسوم بمفهوم التاريخ والألفاظ والمفاهيم والأصول** التي افادنا بمفهوم وأصول المصطلح التاريخي، كما اعتمدت على

كتاب محمد محمود محمدين "التراث الجغرافي الإسلامي "وكتاب "**التفاعل الثقافي بين الغرب والمشرق الإسلامي في اثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره"**، الذي تتبع رحلة ابن سعيد المغربي من المغرب إلى المشرق وعودته منه، **وكتاب تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، و **اعلام الجغرافيين العرب** لكل من حسين مؤنس وعبد الرحمن حميدة اللذان افاداني كثيرا في الفصل الأول ، وفي الفصل الثاني اعتمدت على كتاب عبد القادر بوباية **مصادر من تاريخ المغرب والاندلس** الذي تتبع التأليف التاريخي من الفتح الإسلامي الى غاية القرن الحادي عشر الهجري.

ز- الصعوبات :

كل عمل بحثي لا يعدم الصعوبات التي تعرقل مسيرته، خاصة الزاد المعرفي والخبرة المنهجية التي لا أدعي أني أحوزها، إضافة الى الالتزامات المهنية التي كانت على عاتقي، أيضا صعوبة الحصول على المراجع خاصة في الجامعة بسبب العراقيل البيروقراطية .

مـقـدّمـــة

الفصل التمهيدي:
التدوين التاريخي من النشأة حتى مستهل الموحدين

اولا: مفهوم التدوين لغة واصطلاحا

ثانيا: الإطار التاريخي للموحدين

ثالثا: نشأة التدوين التاريخي في الغرب الإسلامي

أوّلا: مفهوم التّدوين التّاريخي:

يعد التاريخ من أهم ميادين المعرفة التي اهتم بها العرب وتدارسوها وألفوا فيها، ويرجع اهتمامهم بها إلى ماقبل الإسلام، وكما أي علم آخر فقد تدرج في التطور حتى عد علما قائما بذاته وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح التاريخ اختلف في أصله بين من يرجعه إلى أصل عربيّ وآخر فارسيّ أو ساميّ للكلمة.

فما هو التدوين التاريخي، وكيف نقف على تعريف اصطلاحي ولغويّ له.

ا –التاريخ لغة

– لفظة "التاريخ" جاءت بعدة معاني في اللّغة العربيّة حيث جاءت بمعنى "الوقت" حسب كتاب مختار الصحاح للرازي الذي ذكر فيه "أرخ يوم كذا".[1]وجاء ايضا بمعنى الإعلام بالوقت أو تعريف الوقت كما نجد اختلافا في أصل الكلمة منهم من ينسبها إلى العربيّة مثل الأصمعي لكن هناك أراء أخرى تنسبها إلى غير العربيّة مثل السخاوي الّذي يقول أنّ أصلها فارسيّ وعربت إلى العربيّة و وافقهم باحثون آخرون ، وقيل أن أصلها فارسيّ وهي مكونة من جزئيين "ماه" و "روز" ماه تعني "القمر" و"روز" تعني اليوم.

كما يدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي إليه الشيء [2].

و نجد في التراث الإسلاميّ روايتان تاريخيتان ،الأولى عندما أرسل أبو موسى الأشعري كتابا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فيه :"إنّه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيّهما ، قد قرأنا صكا محله شعبان ،فما ندري أيّ شعبان هو؟ أهو الماضي أو الآتي، ثمّ جع الصحابة وقال إنّ الأموال قد كثرت وماقسمناه غير مؤقت فكيف التّوصل إلى ما يضبط به ذلك؟ فقال الهرمزان وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يده :"أنّ للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويسندونه إلى

---

[1]محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 1998م، ص31.

[2] محمد بن صامل السلمي: **منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية ق3هـ**، ط1 ، دار ابن الجوزي، ، 1429هـ ص49 .

من غلب عليهم من الأكاسرة" واللفظ يدل على أنّه أعجمي استحدث في خلافة عمر رضي الله عنه [1].

لفظ "ماه روز" بمؤرخ وجعلوا مصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التعريف [2].

وفي الرواية الثّانيةّ أنّ أبا موسى الأشعري أرسل لعمر أنّه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرّخ بالمبعث وبعضهم أرّخ بالهجرة فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرّخوا بها [3].

وفي رواية لابن خيثمة عن محمد بن سرين قال: رأيت باليمن : "شيئا يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر هذا حسن فأرخوا" [4] .

ومن الروايات الأخرى أيضا أنّ أول من أرّخ التاريخ هو الصحابي "يعلى بن أميّة "الذي كتب كتابا مؤرخا فأعجب الفاروق بالفكرة فشرع بالتأريخ [5] .

كما أنّ التاريخ يختلف عن التأريخ فالتأريخ هو دراسة الماضي من مختلف الجوانب، أمّا التاريخ فقصد به كل مامضى .

–ومن المعروف أن لفظة التاريخ لاوجود لها في القرآن الكريم والأحاديث النّبوية الشّريفة ، ولاحتى في التراث الجاهلي ولما لم يكن لها مصدر فهي معربة،

وعن ابن منظور "التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله، يقال أرخ الكتاب بيوم كذا أي وقته ."[1]

---

[1] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، ط2،تحقيق: أبو الفضل محمد بن إبراهيم، ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج2، ص 389.

[2] وجيه كوثراني: **تاريخ التأريخ – اتجاهات – مدارس – مناهج** ، ط2 ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،الدوحة، 2013 م ، ص 31.

[3] وجيه كوثراني ،المرجع السابق ص 31.

[4] أحمد بن علي المقريزي،: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**،ط1 دار الكتب العلمية، بيروت،1418هـ/1998م، ج2 ، ص63.

[5] يعلى بن امية بن ابي عبيدة بن همام بن الحارث بن زيد بن مالك بن حنظلة بن زيد بن تميم، قيل خاله عتبة بن عزوان وله روايات رواها عكرمة مولى ابن عباس، وابنه صفوان.

كما بعض الباحثين أرجعوها إلى اللّغة العربيّة الجنوبية ونقصد بها اليمن مستدلين باكتشاف أثريّ في نقش عربيّ جنوب كاسم وأصلها توريخ وحولها أهل شمال الجزيرة إلى تاريخ وبعبارة أخرى إن الكلمة صحفت تاريخ [2].

كما أنّ بعض المتخصصين في الدراسات السّامية أنّ كلمة تاريخ تعود أصولها إلى الأكاديّة أو العبرية من لفظ أرّخوا أو أرّخ إلّا أنّ روزنثال استبعد هذه الفرضية لأنّ هذه الكلمة لم تستخدم بهذا المعنى في اللّغة العربيّة.

ب- التاريخ اصطلاحا:

التاريخ من العلوم العربيّة الخاصة الذي تطور دون تأثير خارجيّ حيث أنّه قبل الإسلام كان شكلا من أخبار العرب والقبائل عرفت بأيام العرب، ثم ازداد الاهتمام بها مع نزول القرآن الكريم خاصة وأنّه بين ثناياه آيات تتحدث عن أخبار الأمم السابقة، ما أجّج في نفوس العرب التعرف على أحوال تلك الأمم [3] .

وتجدر الإشارة أن دخولها كان بمعني تقويم الأحداث بالشهر أو السّنة، وكان ظهور الكلمة عند المسلمين سببا مباشرا لظهور التأريخ الهجريّ الذي أقرّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بالتشاور مع الصحابة الكرام، واختاروا شهر محرم لبداية التقويم القمري[4].

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **لسان العرب** ط4 دار صادر، ، بيروت، لبنان ،2005 ، ج1، ص25.

[2] سبع قادة: **(لفظة التاريخ جذورها وتطور دلالاتها الاصطلاحية في التراث العربي الإسلامي)** مجلة كان، عدد16 جوان 2012م/1433هـ، ص15.

[3] بشير رمضان التليسي: **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي**، ط1، دار المدار الإسلامي بيروت، لبنان، 2003م، ص: 478.

[4] محمد بن صامل السلمي: المرجع السابق ص :35.

-اختار المسلمون هذا الشهر بعد استبعاد مولد النبي عليه الصلاة والسلام لأنّه مختلف فيه وكذا موعد وفاته وأنّ كان معلوما فإنّه يبعث على الحسرة والأسف، ووقع الاختيار على شهر محرم لأنه بدلية العزم على الهجرة وبها فرق بين الحق والباطل.

وبعد هذه الإجازة التّاريخية نتطرق لبعض المفاهيم الاصطلاحية للتاريخ التي وردت من المصادر:

1خليفة بن خياط:"هذا كتاب التاريخ، وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نساءهم ومحل ديونهم"[1] .

2ابن خلدون: "التاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال وتعرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتّسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق، وجدير أن يعد في علومها وخليق"[2] .

ونجد لابن خلدون تعريفان ظاهريّ وباطنيّ[3] .

وقد اتّسمت منهجية ابن خلدون، بالشروط الأساس لتفسير التاريخ، تلك التي لا يقوم "علم تفسير التاريخ" بدونه، وهي:

1-الشموليّة العالمية في النظرة إلى التاريخ، أو حسب تعبير بعضهم "النظرة الكلية" : فالتاريخ المحلي أو النظرة الجزئية المحدودة، لا يمكن أن تشكّل أساساً لتفسير التاريخ، ولا

[1] خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة**، ط2: تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دار القلم، ، 1397ه.ص49.

[2] ابن خلدون: **المقدّمة**، مراجعة، خليل شحادة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2001.ص6.

[3] خاليد فؤاد طحطح: **في فلسفة التاريخ**، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم -الجزائر: منشورات الاختلاف، 2009م، ص84.

ينتظر أن يستقرئ كل مفسر للتاريخ سائر الأمثلة، التي تقدمها الوقائع التاريخية في سائر الحضارات، فذلك عمل، وإن كان هدفاً مثالياً، إلّا أنّ تطبيقه من الصعوبة بمكان كبير، وحَسْب مفسر التاريخ أن يقدّم شرائح من حضارات مختلفة، بحيث تكون نتائجها المستخلفة صالحة للتكرار والتعميم .

2-العلِّية: فلا تفسير بدون تعليل، ولن تتحقق العبر واستخلاص السنن والقوانين بدون هذه العلِّية، وأي فلسفة، في أي علم من العلوم، لابد أن تعتمد على التّعليل، وهذا من الفروق الأساسيّة بين المنهج التاريخي التقليدي، والمنهج الحضاري، أو منهج تفسير التاريخ [1].

والتّعليل – أيضاً – يكون قابلاً للتكرار، في أطر حضارية أخرى، ولابد أن يكون عاماً شأن سائر القوانين، وأمّا التعليل الجزئي، الذي يشبه الحكمة الخاطفة، فإنّه لا يرقى إلى التّعليل المطلوب لمفسر التاريخ. حيث يقول"أن التاريخ علم بكيفيات الوقائع وأسبابها" [2] . والتعليل التاريخي، الذي يعتمده مفسر التاريخ، ليس تعليلاً جزئياً -كما ذكرنا- وليس تعليلاً خارجياً، بل هو تعليل باطني مستقى من الرؤية الشاملة الفلسفية لما يقبع خلف الوقائع الظاهرة... إنّه نظر إلى الواقعة من داخلها، ومن نقطة الإحاطة بكل جوانبها، ومن ربطها بإطارها العام .

3-الفكر : فإذا كان المؤرخ مجرد مسجل للحدث، باحث عن الطرق الصحيحة لإثباته، فإن مفسر التاريخ يحتاج إلى عمليات فكرية معقدة، في محاولة لجمع جزئيات الماضي، ولاستحضاره من حاضره، عن طريق بنائه بناءً تركيبياً، ولاستخلاص أسباب اتجاهه للإيجاب أو السلب، فالجانب المعرفي، والفكري، أساس لمفسر التاريخ[3] .

---

[1] اسماعيل سراج الدين وأخرون: **ابن خلدون إنجاز فكريّ متجدّد**، مكتبة الاسكندرية، مصر ،2008، ص64.

[2] مهدي عامل: **في علمية الفكر الخلدوني**، دار الفارابي ، بيروت: ، 1985م ، ص 16-17.

[3] عبد الله العروي: **مفهوم التاريخ والألفاظ والمفاهيم والأصول**، ط4، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ،2005م ص 48.

4 – الحركة أو"الديناميكية" : المفسر للتاريخ يقدم لنا صورة تبدو وكأنّها إعادة حية "متحركة" للواقع، حتى نحس بطبيعة العوامل التي تقف خلف الأحداث، ولهذا يلجأ فيلسوف التاريخ لرصد كل العوامل النفسية و"البيولوجية"، والفكرية، والعقديّة، والاقتصادية، ويربط بينها، ويعطي لكل عامل حجمه في مرحلته التّاريخية .

أمّا المؤرخ فيقدم لنا التّاريخ، أقرب إلى السكونيّة الجامدة، الّتي تعطينا جانباً معرفياً منظوراً، ولا تحرك فينا جوانب الاستحضار، والتّفاعل، والبصر، بالعوامل الباطنيّة .

السخاوي (902هـ/1496م) عرف التّاريخ أنّه التّعريف بالوقت الّذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا ممّا مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ....والحاصل أنّه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت، بل كما كان في العالم "[1] .

وله موضع أخر يشير إليه معنى الأخبار [2] .

أمّا حسين مؤنس فيقول: أنّ التاريخ هو حوادث، والحوادث هي التغيرات والتغيرات وليدة الزمان، أو أسيرة الزمان، انتهينا على ، أنّ التاريخ هو الزمان [3] .

أمّا تعريف شاكر مصطفى فقد ربط التاريخ بالفكر الحضاريّ التأريخ هو ممارسة إنسانيّة تتعمق وتتبلور مع الارتقاء في الدرجة الحضاريّة، فهو إحساس بمرور الزمن والأحوال ،وتسجيل ذلك الإحساس على صورة من الصور قد يكون أسطورة أو قصة أو أغنية أو سجل أحداث [4] .

---

[1] شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق: فرانز روزنثال ، تعليق صالح أحمد علي ، دار الكتب العلميّة ،بيروت ،لبنان ، ص17 .

[2] محمد بن صامل السلمي : المرجع السابق ص 38.

[3] حسين مؤنس: **التاريخ والمؤرخون**، دار المعارف، القاهرة ، مصر 1984م ص22.

[4] مصطفى شاكر: **التاريخ العربي والمؤرخون**، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،1983م، ج1، ص7.

وأيضا عرف الكافيجي (879هـ/1474م) التاريخ أنّه علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به حيث تعين ذلك وتوقيته [1].

ثانيا: الإطار التاريخي للموحدين.

تنسب الدولة الموحدية إلى إمامها ومؤسّس فكرها المهدي بن تومرت الذي لقب بالمهدي والمكنى بأبي عبد الله.

ولد محمد بن تومرت في قرية "ايجليز" في ذومكران[2] في منطقة السوس الأقصى [3] .

بين عامي 480هـ 1087م وينتمي إلى قبيلة هرغة إحدى بطون قبيلة مصمودة المعروفة الان باسم الشلوح [4].

وتذكر المصادر التّاريخيّة حادثة ميلاده أنّ أمّه لمّا ولدته قالت:"اتومرت ايسكابوي"ومعناه يا فرحتي بك بني [5].

تلقى تعليمه الأوّليّ في مسقط رأسه ،ونشأ في أُسرة ملتزمة دينيا يقول ابن خلدون: "شبّ محمّد قارئا محبّا للعلم ، وكان يسمّى أسافو ومعناه الضياء، لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها ، وارتحل لطلب العلم إلى المشرق وفي رأس المائة الخامسة "[1].

---

[1] محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي: **المختصر في علم التاريخ** ط2 ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ،1983م، ص26.

[2]أبو محمد حسن بن علي ابن القطان: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان،ط2**،، تحقيق: ، محمد علي مكي ، دار الغرب الاسلامي ،1980م ،ص91.

[3] كان يطلق هذا الاسم قديما على سهل سوس الحالي وهي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب، تحده سلسلة جبال الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق والجنوب والمحيط الأطلسي من الغرب. سكانها من الشلوح و العرب ممثلين بخليط هوارة. تشتهر بتواجد غابات الأركان عدة أقاليم ومدن أشهرها :أكادير عاصمة سوس، تارودانت، تزنيت، إنزكان، أيت ملول الدشيرة.

[4] روجي لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب بين القرنين 13/12م** ترجمة :أمين الطيبي، دار العربيّة للكتاب 1928م.ص11.

[5] محمد عبد الله عنان: **(دولة الإسلام في الاندلس، القسم الأول، العصر الثالث)** ، ط2 ، مكتبة الخانجي، ا، مطبعة المدني، القاهرة 1990.ص 59.

وبعد ذلك يحتمل أنّه توجه إلى قرطبة [2] ثمّ إلى المشرق الذي من المؤكّد أنّه أمضى هناك سنوات ويذكر أنّه تلقى العلم على يد علماء المشرق وأنّه التقى الإمام الغزالي الذي كلفه بنشر الدعوة [3]وهذا ما استدلّ عليه صاحب الحلل الموشية "كنت بمدرسة الشيخ أبو حامد الغزالي وجاء رجل كث اللحية على رأسه كرزى فسلّم عليه فقال ممّن الرّجل قال من أهل المغرب الأقصى "[4] .

إلّا أنّ هذه الرواية قد فنّدها ابن الأثير الذي نفى تواصل الإمام الغزالي بابن تومرت ،ومن هنا تشكلت شخصية المهدي الذي اتّخذ جنب الحدة في الدعوة وفي طريق عودته إلى المغرب مكث في مصر إلّا إنّه طرد من السلطان الفاطمي، والتقى في مصر بالإمام الطرطوشي وأخذ عنه [5]، ثمّ ما لبث أن اتّجه نحو قسنطينة ثمّ بجاية الذي استقرّ في مسجد الريحانة [6] ، ولم يطل به البقاء حتى طرد كذلك منها وفي طريقه إلى بلاده التقى رفيقه عبد المؤمن بن على الذي كان متجها نحو المشرق في مكان يدعى ملالة وأقنعه بمنهجه ممّا دفع بعبد المؤمن العدول عن رحلته والعودة مع المهدي .

---

[1] ابن خلدون: **ديوان العبر** ، تحقيق :سهيل زكار، دار الفكر، لبنان ، 1421هـ/2001م ، ج6، ص301.

[2] سمية سعادة، هدى عبدو ، : مذكرة ماستر **أهل الذمة في العهد الموحديّ (الحضور والإسهامات)515هـ667هـ_1126_1282م** ، جامعة المسيلة 2017/2016، ص17.

[3] إبتسام مرعي خلف الله، **(العلاقة بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلاميّ (528/...،1130/1092م)**، دار المعارف ،1988م، ص80.

[4]مجهول : **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية** ، ط1، تح سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد ، الدار البيضاء ، 1979، ص85.

[5] بو بكر محمد بن الوليد بن خلف المعروف بأبي بكر الطرطوشي أو ابن أبي زندقة –ت 451) هـ520 – فقيه مالكيّ، ولد في مدينة طرطوشة الأندلسية وحفظ فيها القرآن وتعلم القراءة والكتابة. انتقل إلى سرقسطة وتتلمذ على يد أبي الوليد الباجي .ذهب في عام 476هـ في رحلة للمشرق الإسلامي، فاتجه إلى مكة ليؤدي الحج ثم قصد بغداد والبصرة ومكث فيهما مدة من الزمن يتفقه على علماء العراق من مؤلفاته سراج الملوك ،شرح رسالة ابي زيد القيرواني .

[6] ابتسام مرعى : المرجع السابق ص59.

ولكيفية لقائهما اختلف المؤرخون فيمن يراها عناية إلاهية كالبيذق والصدف كابن خلدون الذي يرى لقاءهما كان بسبب وفاة أحد المعلمين الذي جاء لاستخلافه [1] .

وخلال هذه الفترة اتّضحت رؤية المهدي الإصلاحية فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واتّجه بعدها إلى تلمسان ثمّ إلى مراكش وفي كل مكان يحل به يلاقي ما يلاقي من الطرد بسبب منهجه ،حتى وصل أمره إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين واستمر الحال حتى استفحل أمره وأظهر انشقاقه وبُويع عام 515هـ/1125م من أتباعه والمقرّبين منه على رأسهم عبد المؤمن وعبد الواحد الونشريسيّ وسميت بيعة ال10 ثمّ ما لبث العدد أن زاد فأضحوا 50 سمّو بأصحاب الخمسين ثمّ زاد عددهم فاطلق عليهم أصحاب السبعين، وزاد المهدي بدعوته العصمة و الإمامة وقال أنّه إمام معصوم عن الخطأ ،وبشّر بظهور المنظر ويعدّد صفاته [2]. ويمنيّ أنصاره أنّهم على الحق المبين وأنّ أعداءهم في الضلال، وبعد هذه البيعة زادت تحركات بن تومرت العسكريّة المعاديّة للمرابطين حتى حدثت معركة بين الطرفين كانت الدائرة عليهم في أوّلها [3] .

لكن هذه الهزيمة لم تثني بن تومرت من مواصلة نشاطه ،وأطلق على أتباعه لقب الموحدين تمييزا لهم عن الأخرين أي المرابطين الذي نعتهم بأقذع الألفاظ فاتّهمهم بأنّهم [4]"ملوك فجرة دجاجلة طغاة ،جبابرة عتاة الملبسون المفسدون...المبتدعون المتحرفون" .

---

[1] روجيه لي تورنو المرجع السابق : ،ص27.

[2] حسن (علي حسن) :**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص 453.

[3] خير الدين الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، ط2، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1960م، ص7.

[4] محمد المهدي بن تومرت: **أعزّ ما يطلب**، تحقيق: عمار طالبي، طبع في إطار تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،2007م ص242.

واستمرت المعارك بين الطرفين سجالا[1] ،وصار المهدي يحث أتباعه على قتال المرابطين وسمّاه جهادا فأرسل إلى أنصاره رسالة يحثّهم فيها "كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتّصلت بنا أخباركم ... وجهاد المجسمين...وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله جهاد الكفرة الملثمين ...لا عذر لأحد في تركه – يقصد الجهاد– ولاحجة لهم عند الله "[2].

وفي أثناء ذلك توفي المهدي وخلفه في الصراع عبد المؤمن بن علي الكومي بعد معركة البحيرة عام (524هـ/1130م) وهي المعركة التي سقط فيها حوالي أربعين ألف من الموحدين [3].

على أن الاستراتيجية العسكريّة للموحدين أتت ثمارها بأسلوب حرب العصابات هذا أدى إلى انشقاق جيش المرابطين والخلاف بين القبائل الموالية للمرابطين التي أدّت لخروج بعضهم عن طاعتهم كالخلاف بين قبائل لمتونه ومسوفة الذي انتهى إلى انضمام الأخيرة إلى الموحدين [4].

إضافة إلى سوء الأحوال الاقتصادية حيث يذكر صاحب الحلل الموشية عن نتائج تلك الأحداث قوله "غلت الأسعار وتوالت الفتن وعمّ الجدب ووجّه كثير من حماة الاندلس إلى العدوة ونقل إليها السّلاح"[5].

---

[1] ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب**، قسم الموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني واخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء ،2002ج4ص16.

[2] **رسائل موحدية**: تحقيق احمد العزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، ط1416هـ/1995م، ج1 ،ص 46.47.

[3] عبد العزيز سالم السيد: **تاريخ المغرب الأقصى في العصر الاسلامي، د.ت**، مكتبة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2011، ص693.

[4] على محمد الصلابي: **دولة الموحدين**، دار البيارق ،1998، ص111.

[5] الحلل الموشية: المصدر السابق : ص 12.

قبيل وفاة المهدي أرسي ما يسمى نظام أهل الجماعة الذي ابتدأ من بيعة العشرة ثمّ الخمسين فالسبعين وأوصاهم بنبذ الفرقة وطاعة عبد المؤمن بهذا استتبّ الأمر لعبد المؤمن [1].

أصبح عبد المؤمن الشّخصية الثّانية في الدولة الموحدية ويعد مؤسسها الحقيقي والمهدي منظرها الفكريّ الذي ما لبث أن وجّه أنظاره نحو الأندلس بعد أن اطمأن لزوال الأخطار الجدّية في المغرب على أن دخوله للأندلس كان مبكّرا في وقت تأسيس الدولة فعمل على تثبيت أركان دولته في قرطبة وأشبيلية والمرية وغرناطة ونواحيها، وذلك بعد حملاته على الدولة الزيرية والقضاء عليها في الشرق[2] مستغلا الثورات التي قامت فيها على المرابطين في المدن الكبرى السابقة الذكر والملاحظ هنا أنّ هذه الثورات قامت في أكثرها بدعم من الفقهاء الذين كانوا يحضون بمكانة لا تنكر عند المرابطين [3] .

ثالثا: نشأة التّدوين التاريخيّ بالمغرب الإسلامي .

بدأت الكتابة التاريخية للمغرب الإسلاميّ مع بداية الفتح الإسلاميّ حيث ذكرته المصادر التاريخية الأولى بعد مجيء الإسلام، والمقتفي لأثر هذا يقف عند حقيقة مفادها " أنّ الكتابة التّاريخية ظهرت متأخرة في المغرب مقارنة بالمشرق، وذلك لاعتبارات عديدة منها: أنّ المغرب فتح متأخرا، وأن الفتح العربي للمغرب استغرق وقتا طويلا دام قرابة السبعين عاما [4]على هذا الأساس لا يمكننا تتبع أثر الكتابة التّاريخية إلا من خلال بعض

---

[1] ابن عذارى : المصدر السابق ص132.

[2] عزالدين جسوس: **استراتيجية الموحدين العسكرية في غرب البحر المتوسط**، مجلّة اسطور للدراسات التاريخية، علمية محمكة يصدرها المركز العربي للدراسات التاريخية ع2، لبنان، جوان 2015م، ص41.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني 510هـ، 546هـ /1116م ،1151م)** ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1988م ص 76.

[4] محمود اسماعيل **الفكر التاريخي في الغرب الاسلامي** ، د.ت مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ، ص 18.

المصادر المشرقية التي اهتمت بالفتوح والمغازي منها: كتاب: "فتوح إفريقية" لأبي عبد الله الواقدي (ت207هـ) ، وكتاب: "تاريخ الرسل والملوك" للطّبري(ت310هـ) ، وكتاب: «**فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم**(ت257هـ)، بالإضافة إلى كتاب: «**فتوح البلدان**" **لأحمد بن يحي البلاذري (ت297هـ)**[1]. الذي اهتمّ بذكر بلاد المغرب .

أمّا التدوين التاريخي في عهد الدويلات المستقلة في المغرب الإسلامي فنجد مثلا الأغالبة (184-296هـ/800-908م) اهتمّ المسلمون بذكر المغازي حيث ظهر كتاب **مغازي إفريقيّة** لابن أبي دينار أحد أقرباء الفاتح المهاجر بن أبي دينار.

وهو الذي أخذ عليه ابن عذارى في البيان المغرب ونقل عنه رواية فتح الاندلس.

كما ألف **عبد** الرحمن بن زياد" (ت161هـ/778م) هو الآخر كتابا عن فتوح إفريقيّة.

أمّا بالنسبة للدولة الرستميّة (161هـ/296هـ) فنجد أن الإباضين اهتمّوا بتدوين تاريخهم وأخبار رجالهم ومن أهمّ الكتب في هذا الصدد نجد كتاب أخبار الأئمة الرسميتين لابن الصغير المالكيّ (ت294هـ) الذي تحدث فيه عن مناقب رجالهم وسيرة أئمّتهم ومنهم أيضا ابن سلّام الإباضيّ الذي كتب الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية وكان يعد من الكتب المفقودة أقدم ذكر لهذا الكتاب كان من طرف أبي العباس أحمد بن سعيد الشّماخي حيث أخذ عنه في كتاب السير عدة روايات مأخوذة عنه وتتناول تاريخ الدعوة الإباضية ويعد كذلك أقدم مؤلَف تاريخي عن المغرب الاسلامي [2] .

---

[1] – هو أبو أحمد من يحي بن جابر البلاذُري؛ من أهل بغداد وكان جدّه يكتب للخصيب صاحب مصر، وكان شاعرا راوية وسوس آخر أيّامه فشد في البيمارستان ومات فيه، وتعود سبب وسوسته أنه شرب تمر البلاذر على غير معرفة فلحقه ما لحقه، وله من الكتب: "كتاب البلدان الكبير"، و"**كتاب الأخبار والأنساب**"، و"**كتاب عهد أردشير**"– ترجمه بشعر وكان أحد النقلة من الفارسي إلى العربية. (انظر: ابن النديم: **الفهرست**، ص 125– 126).

[2] ابن سلام الإباضي: **الاسلام وتاريخه من وجهة نظر اباضية**، ط1، تحقيق: ر.ق شقارتز وسالم يعقوب، دار اقرا، 1985م، ص5.

كما أنّ أهميته التاريخية تتمثّل أنّه من المحاولات الأولى لغير العرب للتعريف بالإسلام باللّغة العربيّة وتكون الكتاب أو النّص لأنّه لن يكن كاملا من أربعة أجزاء حيث تناول التّعريف بالعقيدة الإسلامية و في الجزء الثّاني تحدث عن شرائع الدين وقواعد تنظيم الحياة الإسلاميّة في المجتمع ، ثم تطرق في الجزء الثالث إلى التّحدث عن ظلم الخلفاء الأمويين والعباسيين مع ذكر للخلفاء الرّاشدين ثمّ في الجزء الرّابع منه تحدّث عن أعلام الإباضية في المشرق قبل عبد الرّحمن بن رستم ثمّ تلا بعد ذلك فضائل البربر، وتطرق فيه أيضا للمراسلات بين الإباضية في المشرق إلى المغرب .

أمّا بالنسبة للدولة الإدريسيّة فنجد كذلك اهتمامها بالعلم والعلماء حيث تأسست مكتبة ملكيّة هي مكتبة يحي الرّابع الذي اهتم بالعلم والعلماء [1] .

ومن أهمّ المؤلفات المصنفة كتاب المجموع المفترق وكتاب النوفلي لأبي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي والذي هو أقدم الكتب التي أرّخت للدولة وكان معاصرا لأحداثها كاستشهاد الإمام إدريس وبيعته [2]، ورحلة والده إلى المشرق الإسلاميّ الذي نقل عنه مصير سليمان بن جرير أو بن حريز المعروف بالشماخ الذي قتل الإمام إدريس بعد هروبه من المغرب وكذا قدوم الإمام لبلاد المغرب كما يعدّ أقدم كتاب يؤرخ للدولة الإدريسيّة ،كما أنّ البكري نقل عن الكتاب أيضا عن هجرة إدريس من المشرق نحو المغرب فارّاً من العباسيين في قوله: (وذكر أبوالحسن علي بن محمد عن أبيه وغيره في خروج إدريس إلى أرض المغرب، غير ما ذكره المؤرّخون قال :إن إدريس بن عبد الله انهزم فيمن انهزم من وقعة حسين صاحب فخ ،وكانت وقعة فخ يوم السبت يوم التّروية

[1] أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري: **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، القاهرة:** دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص132.

[2] عبد السلام، الجعماطي :"**ما فقد من التواريخ الفاسية نحو التأصيل لنشأة التدويين التاريخي بالمغرب الأقصى**"، مجلة افاق الثقافة والتراث، تصدر عن : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، عدد72،2010م ، ص134.

سنة تسع وستين ومائة، فاستتر مدة وألّح السلطان في طلبه فخرج به راشد مولاه وكان عاقلا شجاعا في جملة الحاج منحاشا عن الناس بعد أن غير زيّه وألبسه مدرعة وعمامة غليظة وصيره كالغلام يخدمه ،وإن أمره أو نهاه أسرع في ذلك ،فسلما حتى دخل مصر ليلا)[1] .

كما نجد اهتمام الأدارسة بحفظ أنسابهم فكتاب السفرة لأبي الطّالب النّاسك الذي حفظ فيه أنسابهم وتأسّس مملكتهم ،ومناقب أعيانهم [2] .

[1] أبو عبيد الله بن عزيز بن محمد البكري، **المسالك والممالك:** ط1 تحقيق: ادريان فان لوفن، ، بيروت، دار الغرب الاسلامي ،1992م، ج2، ص799.

[2] عبد السلام الجعماطي المرجع نفسه، ص139.

الفصل الأول:
كتب الرّحلات والجغرافية في العصر الموحدي

اولا: الرّحلة: مفهومها -أهميتها -أنواعها.

ثانيا: رحلة ابن سعيد المغربي.

ثالثا: رحلة ابن جبير

تمهيـد

يعتبر التواصل الحضاري جسرا مهما لنقل الأفكار والآراء ولعل الرحلات التي كانت بين أقطار العالم الإسلامي في مختلف العصور لها دور كبير في ازدهار الحركة الفكرية خاصة مع المشرق والأندلس الذي كان دائم التأثير على المغرب الإسلاميّ كما أنها ساهمت في نقل فكرة عن حياة الشعوب وثقافتها وذهنياتها وباعتبار الرحلة أحد أهم روافد الاتصال بين الشعوب فإننا نستطرق إلى الرحلة ومفهومها وأنواعها إضافة الى نماذج من الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى بلاد المشرق زمن الدولة الموّحديّة.

أولا : مفهوم الرحلة

1- الرحلة لغة : وهي من رحل وارتحل، رحل بمعني الرحيل[1] يقال: رحل الرّحيل، إذا سار، وارتحل القوم انتقلوا ...والرّحل مركب البعير[2]، والرّحل أيضا ما يستصحبه المسافر من الأوعية وجمعه رحال، والرحلة هي الجهة التي يقصدها المسافر، فالرحيل اسم ارتحال للمسير والمرتحل نقيض المحل [3].

فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، كما جاءت بمعنى التنقل من مكان لآخر [4] .

---

[1]محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي: المصدر السابق : تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العربية، بيروت ،1420ه/1999م، ص 120.

[2]أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،**المصدر السابق** ،ج6، ص 412.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **العين:** ط2، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2002، ج2،ص106.

[4] عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والأندلسية** ، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ،1996م، ص.40

2- الرحلة اصطلاحا :

هي انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة, كجدب بلادهم وضيقها أو لاضطهاد وقع عليهم, أو على أثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم, وتسمى رحلاتهم بالهجرة .

وفي تعريف آخر هي زيارة الأقطار المختلفة وهي من أهم وسائل المعرفة الجغرافية المباشرة، وقد نالت الرحلات قبل الإسلام اهتمام العرب لتعودهم على الترحال.

كما ساهم اتساع الدولة الإسلامية في جعل المسلمين يرحلون للحج مما ساهم في تبادل المعلومات والأخبار[1].

وظهر صنف من تأليف يتتبع الراحل فيه لحظات تنقله من أمكنة أو أزمنة معينة ترصد ذكرياته أثناء هذا التنقل في وصفه المسالك والممالك و الحديث عن الطرق والمجتمعات التي يتصل بها والظروف المحيطة بها أثناء ذلك وما يلاحظه من وقائع و أحداث قد تدعو إلى تسجيلها والكتابة فيها مع عرض الأنشطة المختلفة الخاصة بها أثناء هذه الرحلة [2]، وسيعرف لاحقا بكتب الرحلة والجغرافية .

2- أنواعها

تعددت دوافع الرحلة بتعدد أسبابها فنجد أنواعا كثيرة تبعا للهدف منها .

أ- الرحلة العلمية:

كانت الرحلة في طلب العلم ، أمرا شائعا في المجتمعات الإسلامية لاسيما في الغرب الإسلامي، حيث أن الدين الحنيف حثّ على طلب العلم والسّعي إليه ومن أمثلة ذلك قول الرّسول صلّى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :" يوشك أن يضرب

[1] محمد محمود محمدين، **التراث الجغرافي الإسلامي**، ط.3دار العلوم .، الرياض ،1999، ص135.

[2] عبد الحمن المؤذن: **السفر في العالم العربي والإسلامي (التواصل والحداثة)**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،2003م ، ص 16.

الناس أكباد الإبل في طلب العلم"، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيّ– صلى الله عليه وسلم – قال : "يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة أو عالم أهل المدينة [1]،ونتيجة لاهتمام المسلمين بطلب العلم لم يكتف الطلاب بقراءة الكتب والمصنفات المختلفة لشيوخهم بل ظهرت ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه والرحلة إليه لأخذ العلم إذا استدعى الأمر ذلك، يقول ابن خلدون: (إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم[2] والحرص على السماع والقراءة من الأستاذ نفسه، حتى يتفقهوا في ذلك العلم)[3].

كما أسهمت المصادر التاريخية في ذكر الطلاب الذين رحلوا في طلب العلم، واستزادوا منه سواء في كتب التراجم أو السير، أو الكتب الدينية، وكانت وجهتهم إلى الحواضر الإسلامية[4] كقرطبة و فاس و بجاية وكذلك إلى المشرق الإسلاميّ كالقاهرة وبغداد والحجاز التي كانت منارات علمية تعج بالطلبة الوافدين إليها للاستزادة من العلوم المختلفة ، وقد سجل فيه البعض ما أخذوه من علماءهم وأسماء شيوخهم وتراجمهم وهو ما يسمى بكتب "البرامج "[5]، ومن هذا الصنف نذكر "برنامج الرعيني " .

ب – الرحلة السياسية :

---

[1]محمد المالكي المدني ، ابن فرحون، (ت719هـ): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**،ط2 ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: منشورات مكتبة دار الحديث، 1426هـ/2005م، ج1، ص74–75.

[2]عبد الرحمان ابن خلدون، العبر ط1، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت (1421هـ/200م)، ج1ص،744.

[3] عبد الوهاب حسن حسني :**ورقات عن الحضارة المغربية بأفريقية** ، ط2،منشورات مكتبة المنار ،تونس ،1972م،ج1ص26.

[4]توال عبد الرحمن الشوابكة: **أدب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري** : ط1 دار المأمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2008م ، ص 77.

[5]كانت تسمى المشيخة وتحول الى المعجم ،ومع الوقت اختلفت التسميات في كل قطر المشارقة عرفت عندهم ب (الثبت)وفي المغرب (الفهرست)

وهي رحلات لها هدف معين وتكون بأمر من الخليفة ولها أهداف سياسة قد تكون إبلاغ أوامر، أو عقد التحالفات مثل الرسالة التي أرسلها صلاح الدين إلى سلطان الموحّدين.

ج – الرحلات التجارية : حيث تكون بغرض التجارة بين الأقطار الإسلامية أو لغير ذلك وقد كان هذا الصنف معروفا عند العرب منذ القدم (كما جاء في سورة قريش وحديثها عن رحلتي الشّتاء والصّيف التجاريتين اللّتان كانت تقوم بهما قريش)

د – الرحلة الحجيّة :وهي رحلة دينية للقيام بالحج الركن الخامس في الإسلام لقوله تعالى " **وَأَذِنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَ عَلَى كُلِ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِ فَجٍ عَمِيقْ** "[1] و يقتضي أيضا هذا العامل زيارة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، و المزارات الدينية الأخرى، كالمسجد الأقصى و قبور الأنبياء و الصحابة في كل من بغداد و دمشق و القاهرة و غيرها ما بعث في نفوس المغاربة و الأندلسيين،التّلهف على زيارة هذه الأماكن المقدسة ، ووجهتها الحجاز من مختلف أقطار العالم الإسلاميّ، بالنسبة للغرب الإسلاميّ يكون انطلاقها من فاس أو مراكش وهي قافلة بريّة وهناك من حجاج الأندلس من يأخذ طريق البحر إلى صقلية فالإسكندريّة ويكون للرحلة البرية أمير وتتوقف عند كل مدينة في الطريق ويلتحق بهم من يريد الحج وفي أحيان يستقبلون بالتكريم والحفاوة [2].

هـ – الرحلة التجارية

كانت الرحلة التجارية موجودة منذ القديم لكسب الرزق، كما أن التجارة هي التي ساهمت في معرفة الطرق البحريّة والبريّة وكانت التجارة تشمل نقل السلع والبضائع والمنتجات كما كانت[3] تتمة كذلك مع الأقطار غير الإسلاميّة ،وكان ازدهار التجارة

---

[1] سورة الحج ،الآية 27.

[2] محمد بن حسن بن عقيل ، موسى الشريف: **المختار من الرحلات الحجازية الى مكة والمدينة المنورة**، ط1،المجلد الأول ، دار الاندلس الخضراء ،جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1421هـ،2000م ،ص120.

[3] نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص ،46.

مرتبطا بأمان المسالك وهو ما تحدث عنه ابن جبير في التجارة مع نصارى الشام حيث أنّه رغم الحروب بين المسلمين والصّليبيّن إلا أن التجارة كانت تسير بصورة عاديّة .

ثانيا : رحلة بن سعيد

أ- ترجمته :

ابن سعيد المغربي :(685 - 610 هـ / 1214 - 1286 م) هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد[1]، العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين، من ذرية عمّار بن ياسر[2]: مؤرخ أندلسي، من الشّعراء، العالمين بالأدب.ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة، وتوفي بتونس نشأ واشتهر بغرناطة، وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل: في دمشق.

ولد أبو الحسن علي بن سعيد المغربي في 88رمضان 537هـ/فبراير 3831م في قلعة يحصب من أعمال غرناطة، و قد ظلت هذه القلعة مقرا لإمارة بني سعيد تحمل أيضا قلعة بني سعيد و تذكر بعض الروايات أنهُ ولد ليلة الفطر سنة 537هـ/ 3831م، و أن أول من حل بهذه القلعة قلعة يحصب، قبيلة من اليمن إثر فتح الأندلس ،كما تجدر الإشارة أن الروايات التاريخية اختلفت في تاريخ ميلاده، كما تميّزت حياة ابن سعيد بمرحلتين الأولى من ميلاده ونشأته في غرناطة، حيث لم يمكث بن سعيد كثيرا في غرناطة ورحل مع أسرته إلى اشبيلية وكان والده على اتصال بالخليفة الموّحديّ [3].

---

[1] ابن سعيد المغربي :**المغرب في حلى المغرب** –الجزء الخاص بالأندلس ،تحقيق :شوقي الضيف ،دار المعارف ،مصر ،1953م،ص182.

[2] لسان الدين ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،تحقيق: عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي، القاهرة ج4، ص152.

[3] أحمد بن موسى ، المقري التلمساني :**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** ،ط1،تحقيق: محي الدين عبد الحميد ،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة ،ج2،ص64.

و الثّانية تمثلت في الرّحلة التي قام بها إلى المشرق وعمره تسعة وعشرون عاما [1] زار فيها مصر والشام والعراق وفارس والحجاز ثم عودته إلى تونس، ثم قيامه برحلة أخرى إلى المشرق حتى عودته الأخيرة ووفاته في تونس [2] .

تلقى ابن سعيد العلم على يد عدد من الشيوخ لعل أبرزهم والده موسى بن محمد الذي كلفه بإكمال كتابي **المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق** ، كما أنه صاحبه في رحلاته [3]، ومن تأثره به وبثقافته قال عنه :«و مّما شهدته من عجائبه أّنه عاش سبعاً و ستين سنة و لم أره يوما يخلي مطالعة كتاب أوَ كتْب ما يخلده، حتى إن أيام الأعياد لا يخليها من ذلك «[4] كما نذكر شيوخا آخرين منهم أبو يحي بكر بن هشام القرطبي الذي كانت له أشعار وذكره بن سعيد في جملة من أخذ عنهم وكذلك الأعلم البطليوسي[5] والذي كان يأخذ عنه في اشبيلية .

ب – رحلات ابن سعيد

نتقل ابن سعيد المغربي بين المدن الأندلسية مثل مالقة و الجزيرة الخضراء و قرمونة و ألف كتباً عنها، ثم قصد بلاد المغرب في صحبة والده و كان ذلك من (519 – 515هـ/ 3818 – 3819م)، ثم انتقل إلى المغرب الأوسط حيث مدينة تلمسان، ثم المغرب الأدنى و كان في ذلك الحين تحت إمرة السلطان أبي زكريا يحي الحفصيّ)

---

[1] امنة سليمان البدوي: **الرحالة الاندلسيون والمغاربة ورحلاتهم، مجلة العلوم الإنسانية**، عدد 2،مجلد41، 2014م ،ص403.

[2] محمد جابر الأنصاري :**التفاعل الثقافي بين الغرب والمشرق في آثارابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره دار الغرب الإسلامي** ،ط 1 ، 1992م ،ص79.

[3]محمد جابر الأنصاري، نفسه ، ص 61.

[4]أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ج2،ص334.

[5]من أهل بطليوس (بالأندلس. له كتاب في (آداب أهل بطليوس) وشروح للإيضاح للفارسي، والجمل للزجاجي والكامل للمبرد، والأمالي للقالي. وهو غير (الأعلم) الشنتمري يوسف بن سليمان.

581 - 517هـ) حيث تواصل معه، كما أنه جال في نواحي غرب الإفريقية[1]تولى منصب قراءة المظالم لكن حدثت له مشاكل مع المقربين من السلطان فسعوا بينهما ، وخاصة من ابن عم السلطان أبي عبد الله محمد بن الحسين ،فخشي ابن سعيد من الأمر فطلب من السلطان أن يسرحه إلى الحج ،فتخلص ابن سعيد المغربي من المكيدة التي كادت أن توقع بينه و بين السلطان أبي زكريا يحي الحفصيّ. ثم اتجه ابن سعيد إلى مصر و لكننا لا نعرف الطريق الذي سلكه في رحلته أهو الطريق البحري أم البري، و لكننا نجده في الإسكندرية بصحبة والده قاصدا الحج 518هـ 1217م، لكن تعذر عليه ذلك بعد أن قطع المسافات الطويلة، فبقي والده بعد أن أنهكه السفر يكتب وصيته[2]و رحل ابن سعيد إلى القاهرة التي كانت آنذاك مركز الحركة الثقافية النشيطة و دار السلطة[3]، إلا أنه اضطر إلى العودة إلى الإسكندرية بسبب مرض أبيه في شوال سنة 517هـ/ 1218م، و عاد الابن أدراجه إلى القاهرة و أجل حجه، و كانت السنوات الثلاث التي أمضاها في مصر فترة حاسمة في حياته، تميزت بفقدانه لوالده، و البيئة المختلفة عن البيئة المشرقية .

رحل بعدها إلى حلب، ثم إلى دخل على الملك الناصر حفيد صلاح الدين ،وقدم له قصيدة في مدحه ،وأعجب الملك بفصاحتها حتى لقبه "البلبل[4] "والتقى خلالها مع ركب الحجيج المغاربة ،ثم رحل نحو دمشق وتمتع مع أدباءها وأخذ عنهم، ثم توجه نحو الموصل، ثم إلى بغداد رفقة أحد أمراء الموصل حيث التقى الخليفة المستعصم[5].

---

[1] زكي محمد حسن : **الرحالة المسلمون في القرون الوسطى** ،د.ت ص85.

[2]نواف عبد العزيز الجحمة ، :**رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس الى القرن الثامن الهجري** ، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2008م ، ص70.

[3]نوال عبد الرحمن الشوابكة : المرجع السابق ص64.

[4]ابن سعيد ، **الجغرافيا**،ط1 ،تحقيق: اسماعيل العربي منشورات المكتب التجاري للنشر والتوزيع ،بيروت ،1970م ، ص12.

[5]آخر خلفاء الدولة العباسية الذي سيقتل لاحقا على يد هولاكو زعيم المغول

تمكن ابن سعيد من متابعة دراساته بمكتباتها البالغ عددها 15 مكتبة التي وصفها بحماس و إعجاب كبيرين و استطاع ابن سعيد أن يجالس زعماء الدولة ببغداد في الشعر و الأدب على نهر دجلة.

استأنف ابن سعيد رحلته حتى وصل إلى البصرة في دجلة، ثم قصد بلاد فارس و من مدنها التي زارها خلال رحلته مدينة أرجان، ثمّ واصل رحلته إلى الحجاز و استطاع الوصول إلى مكّة بعد حوالي خمسة عشر عاما من مغادرته الأندلس، و كان من الطبيعي أن يشتاق إلى المغرب بعد هذه الغيبة الطويلة، و كان لزوماً عليه خلال عودته أن يمر بالملك الناصر صاحب حلب الذي كان له نِعْمَ النّصير في تلك الغيبة. عاد ابن سعيد من حلب إلى تونس و لقي الترحيب الحار من أصدقائه القدامى، ويبدو أن ابن سعيد أقام بتونس أربعة عشر عاما عشر " 555 – 518هـ" شعر فيها بنوع من الرقابة التي لم يعتد عليها، و ربما بقيت في نفسه أمور منذ رحلته الأولى لم يستطع الوصول إليها من اطلاع على بعض المصادر و مشاهدة بعض المدن، مما أجبره على الارتحال ثانية إلى المشرق سنة 555هـ، وهناك من رأى سعيد توفي أثناء رحلته هذه، لكنهم تأكدوا من وجوده في المشرق في تلك الفترة[1].

هناك من رأى وفاته بتونس وهي أرجح الأقوال حسب ابن الخطيب [2]،على أنه دائم الترحال مما جعل المؤرخين يختلفون في وفاته .

شهد المشرق الإسلامي الفتنبين الأيوبيين في الشام و بقايا العباسيين في بغداد بعد اكتساحها من هولاكو سنة 515هـ/ 3818م.

تملك ابن سعيد حب السفر فخرج سنة 555هـ/ 3857م في رحلة أخرى نحو الشرق فمّر بالإسكندرية[3].

---

[1] محمد جابر الانصاري : المرجع السابق ص102.

[2] المقري: المصدر السابق، ج2، ص 274.

[3] نوال عبد الرحمن الشوابكة : المرجع السابق ص65.

و كانت له رغبة شديدة في السؤال عن الملك الناصر فأخبروه عما جرى له مع التتار وقتالهم له، و قد سرد ابن سعيد كلاما عن دخول هولاكو مدينة حلب و ما خلفته حملته من آثار التخريب و التدمير و الجرائم بها مما أدى إلى قتل علماء كثيرين، و ألف أشعارا تغنى بها ثم رحل إلى أرمينية، حيث دفعه فضوله ليرى بعينيه رأس هولاكو الجبار، و في هذه المرحلة دخل ابن سعيد إيران و أوغل نحو الشرق، ثم رجع بعدها إلى تونس ما بينسنة 571 – 579هـ في خلافة الأمير المولى أبي زكريا يحي الواثق الذي أهدى اليه كتاب «القدح المعلى في التاريخ المحلى[1].)

ج – منهج ابن سعيد

تمكن ابن سعيد أن ينهج نهج والده و يسلك طريقته في الحياة، علماً بأن والده كان عالماً جليلاً و سار كذلك على نهج أسرته فأتم مؤلفات كان قد بدأها جده و أبوه، و هي تعالج تاريخ العرب و البلاد العربية منذ الجاهلية إلى العصر القريب من حياة المؤلف.أما نشاطه في علم الجغرافياُ يعد امتداد هام للمدرسة الإدريسيّة في الجغرافيا[2]، حيث تأثر به لأنه تتبع خطاه في البحث و اعتمد مؤلفاته كمصادر مهمة فيه.

كما نجد ابن سعيد أول من ذكر الرحالة ابن فاطمة [3] في رحلاته إلى غرب إفريقيا وينقل عنه.

إنّ منهج ابن سعيد يراعي الناحية المكانية ،فيورد تراجم الرجال وأشعارهم حسبُ مدنهم، و يراعي الناحية الزّمنية فيورد التراجم حسب تسلسل الزمن، وكذلك يراعي التسلسل الاجتماعي،فيبدأ بذكر الملوك، ثم الأمراء فالأعيان ومن يليهم من العلماء

---

[1] نواف عبد العزيز الجحمة، المرجع السابق، ص .73

[2] محمد جابر الانصاري : المرجع السابق ص17.

[3] **ابن فاطمة:** الغالب أنه مغربي، قام برحلة بحرية جنوبي مراكش و غرقت السفينة التي كان فيها عند الرأس الأبيض (ساحل الذهب)، ويذكر انه من مواليد مملكة غانة يصلنا شيئا عنه سوى ما ذكره ابن سعيد في الجغرافيا ،انظر الجغرافيا ص 82.84.

والشعراء ولعل القسم الخاص بالأندلس يوضح ذلك حيث بدأ بالحديث عن الأندلس وجغرافيتها كما قسمه إلى أقاليم سمّى كلاّ منها كتابا وقسم أقاليم الأندلس إلى ثلاث الغرب والشرق والوسط وكل قسم بدوره إلى ممالك كبرى فالغرب فيه بطليوس ، شلب باجة اشبونة، مالقه ، أما الأوسط فستة هي تدمير بلنسية طرطوشة والسهلة ،الثغر ،جزيرة ميورقة وكتابة يتناول كل مملكة ويقسمها إلى عاصمة والمدن التابعة لها والقرى التي تتبعها ويبدأ حديثه بالعاصمة التي يطلق عليها القاعدة [1]يقول (كل من التصنيفين مرتّب على البلاد، متى ذكر بلدَ ذَكْرُتُ كَوره و أتكلم عليه و على كل كورة منه...و أبتدئ بكرسي مملكتها و قاعدة ولايتها بحسب مبلغ [علمي] من إعلام بمكانها من الأقاليم وَ من بناها و ما يحف بها من نهر أوَ مْنَزه أو خاصة معدنية و نباتية، و من تداول عليها من أبناء الملوك أولى التواريخ التي لا يجب إغفالها "[2] .

كما أن ابن سعيد استطاع الجمع بين أساليب المصنّفين فهو على درجة من الذوق الأدبي والدليل كتابته الشعر و الكتابة الجغرافية وذلك راجع إلى تكوينه في الأندلس وبذلك استطاع التأليف في الأدب والجغرافية معا .

اعتمد ابن سعيد على :

نقل الخبر سماعا أو الرواية وذلك عن طريق الإخبار ، حيث أنّه تلقى على والده واكمل الكتب التي لم يكملها.

المعاينة أو المشاهدة : وذلك لكون ابن سعيد كثير الأسفار بالتالي نجد أنّ ما أسرده من أخبار هو ما شاهده فعلا خاصة في الحكم على الرجال أو وصف البلدان التي زارها وكان حريصا على تقييد انطباعاته ومشاهداته [3].

---

[1]محمد جابر الانصاري : نفسه ص 166.

[2]ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ج 1،ص10.

[3] جابر الانصاري : المرجع السابق ،ص 153.

النقل عن المصادر فابن سعيد أخذ تقسيم الأقاليم عن الإدريسي[1] أو في وصفه لبعض الأقاليم مثل ابن فاطمة الذي لم يذكره سوى ابن سعيد في نقولاته[2] .

كما يمكننا إجمال خصائص منهجه في :

– **تحديده لخطته و غرضه بوضوح:**[3]عودنا ابن سعيد في كتبه التي وردت أن يحدد غرضه من تصنيف الكتاب و خطته في التصنيف، و هو في الأغلب يتبع ما يخطط بدقة.

–**دقته في التقسيم و التبويب:**و هي ميزة بارزة في مصنفات ابن سعيد حيث يقسم كتابه إلى أجزاء رئيسية ثم يقسم تلك الأجزاء إلى فصول و أبواب حسبما يتطلبه الموضوع.

–**حرصه على الإحاطة و الشمول:**حرص ابن سعيد على أن تكون مصنفاته محيطة شاملة حتى المختصرة منها و هو بهذه يمثل الاتجاه السائد في عصرنا الحالي، فلقد كان أمام المؤلفين مادة ضخمة تتوزع في عالم واسع يمتد خلال تاريخ طويل حافل، و كان لابد من الإحاطة و الشمول لإعطاء الصورة الكاملة.

و هذا ما عبر عنه حين قال:« كلما شرعت في مصنف لم تسمح نفسي بأن أجعله صغيراً و آخذ في استيفاء ما اجتمع لي من مواده و أبخل أن أسقط منها» .

–**حرصه على ذكر مصادره** :يذكر ابن سعيد إما اسم الكتاب الذي ينقل منه أو اسم الشخص الذي يروي.

–**أمانته و حياده:** تتجلى أمنة ابن سعيد العلمية في ذكره للوقائع مجردة حتى و لو لم تكن في صالح بلده أو أسرته أو أصدقائه المقربين أو أساتذته.

–**ميله إلى التقييم و الحكم:**و لا يتبادر إلى أذهاننا أن ذلك مناقض لما أوردناه عن

---

[1]أغناطيوس يوليانوفتشكراتشكوفسكي:**تا ريخ الادب الجغرافي العربي،** ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم ، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، مصر، ج1 ، ص. 358.

[2] ابن سعيد المغربي : **الجغرافيا،** المصدر السابق ص 82.

[3] جابر الانصاري: المرجع السابق ص194.

أمانة ابن سعيد العلمية و حياده، فهو يروي لنا كل شيء خيراً أو شراً، و لكنه في الوقت نفسه يحرص على أن ينقل لنا رأيه و انطباعه أو تقييمه للشعر أو الشخص أو الخبر فهو مثلا يعلق على شعر أستاذه الشلوبيني بقوله:« و شعره على تقدمه في العربية في نهاية التخلف» و يصف خلق أستاذه البطليوس بقوله:«و لم أر في أشياخ الأدب أصعب خلقاً منه».

أمّا ما نقد عنه أنه أخلط بين الأقاليم [1]،وأخطأ في وصف بعض الأماكن ، وهو ما أشار إليه أبو الفدا الذي نقل عنه ثم صحّح بعض النقول ، وأنّه اعتمد على تقسيم الأقاليم على الإدريسي [2] .

ركزت الكتب التاريخية على الجانب الأدبي لابن سعيد مهملة الجانب الجغرافي الذي برع فيه وهو الجانب "أي الأدبي" الأضعف في مؤلفات ابن سعيد الكثيرة التي شملت مختلف الفنون [3] .

ويبدو أنّ سبب ذلك يعود إلى سقوط بغداد و ما لحقه من هلاك المؤلفات النّفيسة مما حدا بالناس إلى الحرص على استرجاعها[4] ،وحفظها وأنّ ابن سعيد على ملكته الأدبيّة كان في مصر إبان تلك الأحداث فأهمل الناس الجانب الجغرافي له، كما ألف كتبه "عنوان المرقصات "[5]، الغضون اليانعة ، رايات المبرزين كانت لطلب من كان يخدمهم الذي كان اهتمامهم بالأدب على حساب الجغرافيا .

د – كتبه

[1]أغناطيوس يوليانوفتشكراتشكوفسكي، المرجع السابق، ، ص،359

[2]عبد الرحمن حميدة :**أعلام الجغرافيين العرب و مقتطفات من اثارهم** ،ط1،دار الفكر ،1416ه/1995م ص491.

[3]حسين مؤنس :**تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس** ،ط2،مكتبة مدبولي ،1986م ص483.

[4]أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، المرجع السابق ، ص. 356.

[5] ابن سعيد:الجغرافيا ، ص20.

من تأليفه «المشرق في حلى المشرق » وهو كتاب وضعه أبوه وأنهاه الابن ،الذي أهداه إلى محي الدين الجزري ،وكتاب **المغرب في حلى المغرب**[1]قسمه ابن سعيد الى أربعة مجلدات منه، طبع منها جزءان، وهو من تصنيف جماعة، آخرهم ابن سعيد، .

بدأه جده و عمل فيه أبوه و أتمه هو[2]،(و ذكر علي بن سعيد في مقدمة هذا الكتاب أنه صنفه بالوراثة في مائة و خمس عشرة سنة أبو محمد الحجازي و عبد الملك بن سعيد و أحمد بن عبد الملكو محمد بن عبد الملك و موسى بن محمد ثم علي بن موسى الذي وضع صيغته النهائية سنة 617هـ، و يبدو أن الطبعة الأولى من الكتاب قد ذاعت في المغرب و المشرق و حازت كثيرا من الإقبال في الأوساط الأدبية قبل خروج عليّ و والده من الأندلس و قبل أن يأخذ الكتاب شكله النهائي و مما يجدر الإشارة إليه أن كتاب «كتاب المغرب في حلى المغرب» بدأ تأليفه سنة 117هـ و انتهى سنة 613هو قد ضم كتاب «المغرب في حلى المغرب» في مجمله خمسة عشر سفراً، تتحدث الستة الأولى منها عن مصر، أما السابع و الثامن و التاسع فخصصا لإفريقية و بلاد البربر، و اختصت الستة الأخيرة بالأندلس، ، إلا أنّ ابن سعيد جمعها في كتاب واحد عنونه بفلك العرب المحيط بلسان العرب الذي، جمع الكتابين السابقين .

قسم الأول:جزيرة العرب.

القسم الثاني:في العراق و أرض فارس

القسم الثالث:في كور الموصل و الجزيرة و ديار ربيعة و ديار بكر و ديار مصر.

القسم الرابع:في الشامات.

القسم الخامس:بلاد الروم و أرمينية و الخزر.

القسم السادس:بلاد الديلم و أذربيجان و طبرستان و جرجان.

---

[1]نوال عبد الرحمن الشوابكة :المرجع السابق، ص64.

[2]أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي:المرجع السابق ، ص 357.

القسم السابع:في سائر العجم.

القسم الثامن:في السند و الهند

إضافة إلى كتاب الجغرافيا الذي سمّاه (بسط الأرض في الطول والعرض)[1]وهو كتاب تناول فيه أقطا ر العالم كله بشريّا وطبيعيّا واقتصاديّا وقسمه إلى تسعة أقاليم كلها فوق خط الاستواء زهو المعمور خلف خط الاستواء ،الأقاليم السبعة ،المعمور من الأرض في شمال الأقاليم السبعة ،وقسم كل إقليم إلى عشرة أجزاء ويتحدث عن كل إقليم وخصائص أهله ، وما ينبت فيه و المعادن التي تحتويه ،ويختلف عن المؤلفات الأخرى أنّه يتحدث كذلك عن خارج العالم الإسلاميّ كالهند والروس وبريطانيا وبلاد الغال [2] .

ويذكر مدنها ومواقعها حسب خطوط الطول والعرض وخصائصها بإيجاز .

وكذلك "عنوان المرقصات والمطربات" في الأدب ،إضافة الى كتب كثيرة منها الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابع، عدة المستنجد وعقلة المستوفز ،الفحة المسكية في الرحلة المكية [3].

ثالثا: رحلة ابن جبير

أ- مولده ونشأته :540هـ/1145م

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبدالسلام بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة من قبيلة كنانة المضريّة العدناني أندلسي، شاطبي، بلنسي،[4]،من أسرة عريقة سكنت الأندلس عام 123هـ ممن قدم إلى الأندلس مع بشر بن عياض القشيريّ[5]وصاحب الرحلة ولد في بلنسية ليلة السبت في العاشر من ربيع

[1]جابر الانصاري : المرجع السابق ،ص ،204.

[2]أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: المرجع السابق : ص،359.

[3] المقري ج 2ص ،273.

[4]ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت ، ص،5.

[5] عبد الرحمن حميدة :المرجع السابق، ص 409 .

الأول سنة أربعين وخمسمائة[1] للهجرة وقيل ولد في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع العلوم من أبيه بشاطبة، ، وعَنِي بالأدب فبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة الشعر والكتابة وله في علم الحساب والعلوم اللغوية دواوينهم , أتم حفظ القرآن الكريم, ودرس علوم الدين وشغف بها وبرزت ميوله أيضا في علم الحساب والعلوم اللغوية والأدبية وأظهر مواهب شعرية ونثرية رشحته للعمل كاتبا في الدولة الموّحديّة ،وقال عنه لسان الدين بن الخطيب: "كان أديبًا بارعًا، شاعرًا مجيدًا، سنيًّا فاضلاً، نزيه الهمّة، سريّ النفس، كريم الأخلاق، أنيق الطريقة في الخط، كتب بسبتة عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن، وبغرناطة عن غيره من ذوي قرابته، وله فيهم أمداح كثيرة، ثم نزع عن ذلك، وتوجه إلى المشرق، وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته. ونظمه فائق، ونثره بديع، وكلامه المرسل سهل حسن، وأغراضه جليلة، ومحاسنه ضخمة، وذكره شهير، ورحلته نسيجة وحدها، طارت كل مطار، رحمه الله"[2].

كان أبوه في خدمة الموّحدين [3]،ونظرا لكفاءته استخدمه الموّحدون فتعلم على يد أبيه وغيره من العلماء في عصره ثم استخدمه أمير غرناطة أبو سعيد بن عبد المؤمن ملك الموّحدين[4]في وظيفة كاتب فاستوطن غرناطة.

ب – سبب رحلته:

---

[1]ابن جبير: المصدر نفسه ،ص 5 .

[2] لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق ،ج 2،ص 231.

[3] حسين مؤنس : المرجع السابق ،ص 429.

[4]أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي ينسب الى عبد المؤمن بن علي اول خلفاء الدولة الموحدية ،كان مهتما بالأدب وتولى امارة غرناطة في خلافة اخيه اب يعقوب ،توفي عام 571هـ/1175م في عمر 38عاما بعد اصابته بمرض الطاعون الذي انتشر في المغرب .انظر ،ابن صاحب الصلاة :المن بالإمامة ،تحقيق الهادي التازي ،دار الغرب الاسلامي ،1987م ص85. البيذق ،اخبار المهدي ،دار المنصور ،1971م،ص22. انضر ايضا ابن عذارى البيان المغرب ص 136،ابن خلدون ج6،ص 284.

ذكر ابن الرقيق أنّ الذي دفعه إلى رحلته الأولى أن الأمير أبا سعيد استدعاه ليكتب له رسالته فقدم عليه فوجده في مجلس شرابه فمد إليه الأمير بكأس ،فأظهر الانقباض وقال "يا سيدي ما شربتها قط"،فقال"والله لتشربنّ منها سبعا "فلما رأى العزيمة اضطر ان يشرب سبع كؤوس ،فلما فرغ منها ملأ له الأمير الكأس من الدنانير سبعا وصبها في حجره ،ثم حمله إلى منزله وأراد أن يكفر عن ذنبه بالحج "[1]

ويبدو أن هناك اختلافا حول سبب الرحلة فيوجد من يوافق السبب الأول[2] كما يوجد من يخالفه و منهم الدكتور حسن نصار[3]،ودام سفره ما يزيد عن عامين دوّن فيها ما شاهده في رحلته التي سمّاها "تذكرة بالأخبار عن اتفاقاتالأسفار"[4] وكان ذلك حوالي 585هـ/1186م

[1] جابر نصار :**تراث الانسانية**،مجلد 1: **رحلة ابن جبير**، دار الرشاد الحديثة ، ص240.

[2]حسين مؤنس:المرجع السابق ، ص 430.

[3] يرى حسين نصار ان ما ذكره ابن الرقيق ان البن جبير حج في نفس السنة التي حدثت فيها واقعة شرب الخمر أي 578هـ/1182م والأمير أبو سعيد توفي قبل شروع ابن جبير في الحج أي عام 571هـ/1175م .اي أن سبب الحج غير هذا أضف الى ذلك أن هذا يناقض تماما ما كان يمدح ابن جبير به تدين الموحدين حيث يقول فيهم (وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الإعتقاد أنَّه لا إسلام إلَّا ببلاد المغرب لأنَّهم على جادة واضحة، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع إلامن عصم الله عزوجل من أهلها، كما أنَّه لا عدل ولا حقَّ ولا دين على وجهه إلَّا عند الموحدين ، أعزهم الله فهم آخرأئمة العدل في الزمان. وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة، يعشرون تجار المسلمين كأنَّهم أهل ذمة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب، ويرتكبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها "ابن جبير ص50، كما ابن جبير لم يذكر الواقعة ورأى حسين نصار ان السبب بسيط لا يعدو غير الرغبة في اداء فريضة الحج .

[4]ذكر كراتشكوفسكي ان عنوان الرحلة لم يكن هذا و انما اسمها رحلة الكناني وان عنوانها منحول انظر تاريخ الادب الجغرافي العربي لأغناطيوس ج1ص299. ،حسين مؤنس الجغرافية والجغرافيين ص 430.

ج – رحلاته :قام ابن جبير بثلاث رحلات نحو المشرق ،كلها بقصد الحج حيث أنّه انطلق في رحلته الأولى صحبة صديقه أحمد بن حسان[1] الذي عمل معه في بلاط الأمير أبي سعيد عثمان [2].

لقد قام ابن جبير في الواقع بثلاث رحلات إلى الشرق العربي، واستغرقت أولاها عامين وثلاثة أشهر ونصف شهر، بدأت يوم الخميس الثامن من شوال الموافق للثالث فبراير 1182[3]م إلى الخامس والعشرين من شهر أبريل 1185م ،ثم قام برحلته ثانية عند ما تم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي عام 583هـ/1187م،ودامت عامين من (585-هـ587/1189-1191م).

وقام برحلة أخرى ثالثة من " سبتة " بعد وفاة زوجه عاتكة في عام(6هـ/1204م)وكان قد بلغ الكبر ولم يعد إلى الأندلس ، وأقام في هذه الرحلة متنقلا بين مكة وبيت المقدس إلى أن استقر أخيرا في الإسكندرية حيث كان يعلم الناس، ويؤخذ عنه الحديث والتصوف إلى أن مات سنة 614 هجرية، 1217م ،حيث دامت غربته فيها حوالي العشر سنوات [4].

ويبدو أن الرحلة الأولى هي من قام بتدوينها بينما الرحلتين الباقيتين لم يتم كتابتها وتدوينها [5].وكانت رحلة ابن جبير طويلة غنيّة في مضمونها دقيقة في وصفها ، إذْ كانت رحلة طويلة مفصلة، ابتدأها من غرناطة، و اجتياز البوغاز الفاصل بين المغرب والأندلس، وركب البحر إلى الإسكندرية مارا ببلاد كثيرة ذكر فيها أهوال البحر وما لاقاه ،

---

[1] ابو جعفر احمد بن حسان بن احمد بن الحسن القضاعي كان عالما وطبيبا عمل كاتبا لابي سعيد ابن عبد المؤمن ،جده لامه كان قاضيا وهو ابو محمد عبد الحق بن عطية، توفي في مراكش عام 598او599هـ/1202-1203م .ذكره ابن جبير ثلاث مرات في رحلته .رحلة ابن جبير تحقيق جابر نصار ص5.

[2] عبد القادر حميدة :المرجع السابق ص 409.

[3] ابن جبير :المصدر السابق ص 7.

[4] نوال عبد الرحمن الشوابكة :المرجع السابق ،ص62.

[5] كراتشكوفسكي:المرجع السابق ص 333.

وانتقل إلى القاهرة واجتاز الصعيد المصري إلى أسوان فعيذاب[1]. ثم ركب البحر الأحمر إلى جدة، وحج، وزار ، المقامات المقدسة، وانتقل إلى العراق والشام، وركب البحر مرة أخرى من عكة قاصد الأندلس، مارا في طريقه بصقلية وغيرها من الجزر، وكان في كل قطر حل به يزور مدنه وقراه، ويقف على كل معالمه وآثاره.

د – منهجه:

ما نستطيع تحديد منهج ابن جبير في رحلته بما يلي:

المدن : اهتم بان جبير بوصف والتحدث عن **المرافق ،المشاهد ، الأرباض**

–**بالنسبة للمرافق** تحدث فيها عن الأسوار والحصون ،المساجد المدارس الحمامات المياه الأسواق المارستانات[2]، المنازل الشوارع الأبواب ففي وصفه للمسجد الحرام يقول : "البيت المكرم له أربعة أركان وهو قريب التربيع وأخبرني...محمد بن اسماعيل بن عبد الرحمن أنّ ارتفاعه في الهواء من الصفح الذي يقابل باب الصفا وهو من الحجر الأسود، إلى الركن اليماني، تسع وعشرون ذراعا، وسائر الجوانب ثمان وعشرون، بسبب انصباب السطح إلى الميزاب"[3] .

أما المشاهد فتظم المقابر ، الموالد آثار الأنبياء العلماء الأولياء المواقع الإسلامية والمعابد والكنائس والآثار غير الإسلامية فمثلا يتحدث عن المكان الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة والسلام فيقول: "وفي يوم الاثنين الثالث عشر منه دخلنا مولد النبي صلى الله عليه وسلم. وهو مسجد حفيل البنيان، وكان دارا لعبد الله بن عبد المطلب ...صفة

[1] ميناء قديم على ساحل البحر الأحمر من مصر والحبشة ،اختلف المؤرخون في تحديد موقعه ،وان كان معروفا على انه طريق القوافل من قوص بصعيد مصر .

[2] ويقصد بها المستشفيات.

[3] ابن جبير :المصدر السابق ص59.

صهريج صغير سعته ثلاثة أشبار وفي وسطه رخامة خضراء سعتها ثلثا شبر مطوقة بالفضة "[1].

أمّا الأرياض فتظم كلا من الأحياء و الضواحي فيتحدث عن مشق فيقول "في هذه البلدة مئة حمام فيها وفي أرياضها نحو أربعين دارا للوضوء يجري الماء فيها كلها "[2].

حيث أنّه لا يصف كل شيء في المدن بل يهمل أحيانا ذكر بعضها كما اهتم بالمغاربة وكيف يعاملون من الحكام والشعوب [3] .

كما أنّه يمدح ذوي الفضل ويعدد مكارمهم مثل صلاح الدين وينفرد بكل إقليم بما يغلب علية حيث تحدث في مصر عن المشاهد والآثار حيث تحدث عن أخبار الإسكندرية وآثارها، فوصف منارها وذكر بأنه من عجائب المدينة قائلا: " ومن أعظم ما شهدناه من عجائبها المنار الذي قد وصفه الله عز وجل على يدي من سخر لذلك آية للمتوسمين، وهداية للمسافرين ...يظهر على أزيد من سبعين ميلا، ومبناه في غاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا، يزاحم الجو سموا وارتفاعا يقصر عنه،الوصف وينحسر دونه الطرف[4]" .

ووصف كذلك مزار السيدة زينب والأهرام وأبي الهول [5] وفي الحجاز الشعائر والمواسم الاحتفالات الدينية وفي العراق الوعظ والوعاظ وفي الشام تحدث عن المسجد الأموي ، والنواحي السياسة والاقتصادية بين المسلمين والنصارى وحياة الدمشقيّن الاجتماعية وفي صقلية وعن أحوال المسلمين تحت حكم النورمان وسيرة الملك وليم الصالح مع المسلمين

---

[1] المصدرنفسه ص 141.

[2] المصدر نفسه ص 235.

[3] جابر نصار: المرجع السابق ص 241.

[4]ابن جبير: المصدر السابق ص15.

[5]محمد علم الدين الشقيري:**صورة مصر عند رحالة بلاد المغرب والاندلس من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة** ، طبعة عام 2005م ، دار فرحة ،المنيا ، 2005م ص 44.

كما لا يفوته ذكر انطباعه عن المدن التي يزورها حيث ذكر عن أهل الموصل " أهل هذه البلاد من الموصل لديار بكر وديار ربيعة إلى الشام على هذا السبيل، في أن أهلها هينون معتدلون، محبّون للغرباء، ومؤثرون للفقراء من حب الغرباء وإكرام الفقراء، هم وأهل قراها كذلك[1]".

كما أنّه كان يكتب على شكل مذكرات وكان كذلك يتحدث عن طعام أهل البلاد ومنه وصفه للطعام في مكة المكرمة "وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيّبات فكنّا نظنّ أنّ الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد، حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفناها تغصّ بالنعم والفواكه: كالّتين والعنب والرّمان والسّفرجل،والخوخ"[2] .

كما يصف عمرانها وأحوال الناس بها [3]كما تميزت كتابة ابن جبير بالموضوعية [4] إن جاز إطلاق هذا المصطلح فكان وإن هاجمهم في مواضع كحديثه عن مدينة عكا حيث يقول "هي قاعدة مدن الإفرنج بالشام، ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، مرفأ كل سفينة، والمشبهة في عظمها بالقسطنطينية، مجتمع السّفن والرّفاق، وملتقى تجّار تستعر كفرا وطغيانا، وتفور خنازيرا وصلبانا، زفرة قذرة مملوءة كلها رجسا وعذر"[5]،فإنّنا نجده يمدح غليم ملك صقلية حيث قال فيه "شأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المجابيب، وكلهم أو أكثرهم كاتم إيمانه متمسك بشريعة الإسلام، وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله، حتّى أنّ

---

[1]ابن جبير المصدر السابق 197.

[2]المصدر السابق ص97.

[3] عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة** ،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ،ج1، 1426هـ،2005م ،ص70.

[4]شرايطة ابراهيم : **سلطان الانا والأخر في رحلة ابن جبير**، ع30، مجلة الأثر ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،تونس جوان 2018م، ص 244.

[5]المصدر السابق ص49.

النّاظر في مطبخه رجل من المسلمين، وله جملة من العبيد السود المسلمين، وعليهم قائد منهم ....وهم أهل دولته والمرتسمون بخاصته"[1] .

وكذاك في حديثه عن نصارى جبل لبنان وكيف يساعدون من انقطعت بهم السبل ،كما أن جبير لا يتحرج من ذم بعض أفعال العمال المسلمين التي رآها ليست من الدين والعدل [2]وكذلك ما أستنكر من أخلاق سكان بغداد واتهامهم بالرياء والكبر والتزلّف والنفاق والتعامل التجاري بغير هدي الشّريعة الإسلامية [3].

هـ – قيمة الرّحلة :

ورحلة ابن جبير تعد وثيقة تاريخيّة ذات أهميّة خاصّة، يجد فيها المعنى بدراسة التاريخ الإسلاميّ عنصرا أساسيا مهما نفتقده في معظم كتب التاريخ أو كلها فلا نجده، ذلك هو وصف المجتمعات الإسلامية ،على اختلافها ففي الإسكندرية ذكر " أول ما شاهدناه أن طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بهل لتقييد جميع ما جلب فيه فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحدا واحدا وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ،وسؤل كل واحد عما لديه من سلع أو ناض [4] . ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول "[5]ولاشك أن هذا من أنواع التعسف التي كان يقوم بها المسؤولون عن الميناء ولكن ابن جبير على إدانته لهذا العمل يبرئ صلاح الدين منهم حيث يقول" ولوعلم ذلك على ما يؤثر عليه من العدل وإيثار الرفق لازال ذلك ""[6] .

---

[1] المصدر نفسه ص267.

[2]عبد الرحمن حميدة : المرجع السابق ،ص416.

[3]بنعيسي بوزيان: **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج بين ق5الى 9هـ**، بحث مقدم الى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ، ص 268.

[4]يقصد بها المال.

[5]ابن جبير: المصدر السابق ص 12.

[6]ابن جبير: المصدر نفسه ص12

كما يصف مستوى المعيشة ، وطرق تفكير الناس ورقيهم وتخلفهم ، على خلاف كتب التاريخ التي اهتمت ، بأخبار الفتوحات والحروب، وتاريخ الملوك والقادة والزعماء، وأهملت الحديث عن الشعوب والمجتمعات، و رحلة ابن جبير لم يقصد بها أن تكون كتاب تاريخ، وهي في الواقع كتاب مذكرات ، كان صاحبها يدوّن فيها مشاهداته وتسجيل الأحداث التي عاصرها ، ويستلهم العبرة كل ما تقع عينه عليه وليس هناك شك في أن هذه العناية التي حظيت بها رحلة ابن جبير، إنما تعود في الواقع إلى أهميتها الخاصة التي تقدمت الإشارة إليها – كوثيقة تاريخية يكتبها شاهد عيان ويعني فيها على الخصوص بوصف المجتمعات والعادات والمستوى الفكري وأسلوب المعيشة كما يعني بوصف الآثار والمعالم التاريخية في بلد مر به، وقد ترك لنا ابن جبير في رحلته صورة حية واضحة من كل ذلك في مصر والحجاز والعراق والشام وصقلية، كما ترك لنا صورة أخرى ،عن نوع العلاقات التجارية والإجتماعية بين المسلمين من جهة، والمسحيين الزاحفين على العالم الإسلامي في الحروب الصليبية من جهة أخرى، وعن مدى التأثير المتبادل بينهما في مختلف الميادين[1].

وتظهر قيمة رحلة ابن جبير بصورة أوضح، نتيجة الظروف التاريخية التي كتبت فيها، فقد كان العالم في خضم الحروب الصليبية، وقد كان العالم الإسلامي موزّعا ضعيفا مختلفا مختلّا، تسود فيه الدولة الموّحديّة في الغرب، والدولة الأيّوبية في مصر والشام الشرق وحديثه عن الصّليبيين[2] .

ويظهر من بعض المقارنات التي يعقدها ابن جبير أن الحالة في المغرب العربي والأندلس الموّحديّة، كانت تتسم بطابع الاستقرار والأمن والنظام والطاعة، وأن الدولة الأيّوبية في عهد صلاح الديّن الأيّوبي، كانت مشغولة بالحروب المتوالية والمعارك

[1]امنة سليمان البدوي: **الرحالة الاندلسيون والمغاربة ورحلاتهم**، ع2، مجلد41، مجلة العلوم الإنسانية، ، 2014م ص 403 .

[2]جابر نصار : المرجع السابق : ص 244.

المتسلسلة، عن أن تفرغ لشأن المجتمعات لتنظيم أحوالها، وتحملها على الطاعة واحترام النظام، ومن ثم كانت الأمور في غاية من الفوضى والاختلال والارتباك وكانت أيدي الولاة والمسؤولين المحليين وأعوانهم مطلقة في أموال الناس، وكانت المعاملات تقوم على الاحتكار والغش والاستهتار والسرقة، وكان ابن جبير يضج من كل ذلك، يتحقق ما سمع الناس يتهامسون به مصر والحجاز وغيرهما من التنبؤ بقرب الخلاص على يد الموّحدين[1].

رابعا: رحلة التّجيبي: (730-670هـ) (1329-1271م):

هو القاسم بن يوسف محمد بن علي التّجيبي السّبتي، ولد بسبتة سنة 670هـ / 1271م ونشأ فيها حفظ القرآن الكريم بقراءته المختلفة، قرأ كتب التفسير والحديث الشريف وعلومه المختلفة، والفقه والتصوف، وعلوم العربية على مشايخ بلده[2]،خرج للحجّ لطلب العلم وجلس بين أيدي المشايخ، وكان ممن أخذ عنهم: الإمام ابن دقيق العيد، والدمياطي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن عساكر، وغيرهم، فقرأ ببجاية كتاب الصلة لابن بشكوال، وكتاب فضل صوم ستة أيام من شوال بعد العيد لابن خلف التوني، وبالإسكندرية قرأ جميع كتاب الأربعين البلدانية للحافظ أبي طاهر السلفي و ابن دراج السبتي [3]، وجميع كتاب الأوائل لأبي القاسم الطبراني، ، وغيرها من الكتب التي ذكرها المصنف في برنامجه ، يظهر لنا من مضمون رحلته والمشايخ الذين تتلمذ على يدهم يظهر لنا مدى ما تمتع به من ثقافة واسعة في كونه وصف بغزارة علمه بالعالم البارع المحدث الحافظ المتقن العارف بالحديث القيم على أنواعه، الضابط الثقة.

[1]ابن جبير المصدر السابق ص50.

[2]علي إبراهيم الكردي: **ادب الرحل في المغرب والاندلس**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،2013م، ص 58.

[3]الحسن الشاهدي: **ادب الرحلة في المغرب في العصر المريني** ،منشورات عكاظ ، ج1، الرباط 1990م ص 215.

ولقد ارتحل لأداء فريضة الحج سنة 695هـ ويعد هذا السبب هو الرئيسي وراء رحلته وكان خروجه سنة 1695 /1295م وكان له هدف آخر هو لقاء العلماء والأخذ عنهم، وقد انتقل بين مراكز العلم في شمال إفريقيا حتى وصل القاهرة في بداية سنة 696هـ /1296م، وقد قام بتدوين رحلته أثناء سفره وأضاف إليها المزيد من الحوادث التي علمها عقب عودته إلى بلاده[1] .

وقد عرفت رحلته باسم "مستفاد الرحلة والاغتراب" وهذه الأخيرة كانت تحكي مجمل أحداثه أثناء الحج ذكر المؤرخون أنّها في ثلاث مجلدات ضخمة ، غير الذي وصلنا منها هو الجزء الثاني الذي يتحدث فيه عن مدينة القاهرة التي تعد مركزة علمية مهمة في تلك الفترة وعن آثارها ومن لقيهم من العلماء فيها، ووصف طريق منها إلى البلد الأمين[2]كما تحدث عن الظواهر التي صادفها في طريقه مثلا التبرك بقبر السيدة نفيسة ، وأنّ الدعاء عندها مستجاب ولا يجزم بذلك وفي حديثه عن سبب عدم وجود التماسيح في أحد الجزر المحيطة بالجزيرة ينقل إنّ ذلك بسبب طلسمات موجودة على رخام في تلك الجزيرة، وأنّ أي تمساح يقترب منها ينقلب على ظهره، ثم لا يجزم بصحة ذلك بل يقول: "والله أعلم بحقيقة ذلك".

وفي حين لا يزال الجزء الأول والثالث مفقودين، وهما يضمان كلام الرحلة عن بداية رحلته وطريقه إلى مصر، وكذلك حديثه عن الرحلة في الحجاز وبيت المقدس والشام، وطريق العودة إلى بلده.

منهج التجيبي في كتابه منهج وصفي تحليلي يأخذ جانبا من معطيات المنهج التاريخي، وهو في كلّ ذلك يتوخّى الدقة في ما ينقل وفي ما يكتب. وعندما ينقل معلومة عن غيره، فإنّه يلتزم بتوثيقها في متن ما يكتب فمثلاً عند حديثه عن ابن طولون يذكر أنّه

[1] عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص 121.

[2] علي إبراهيم الكردي: المرجع نفسه ، ص 59.

قد نقل ما يكتب عن تاريخ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي كما انه ترجمة للشيوخ الذين لقيهم في رحلته نذكر منهم تاج الدين أبي الحسن علي الحسين العراقي، [1]وذكر ما رواه عنهم وما سمع منهم بأسانيدهم ويصف ما رآه في طريقه من معالم وآثار ومشاهد، وبعض الجوانب الاجتماعية من عادات وتقاليد ومذاهب مختلفة، وكما تكلم عن وصف المقابر حيث وصف روضة الإمام الشافعي وقبر عثمان بن صلاح الدين والجيزة وأهراماتها وعيذاب وجدة وغيرها من المدن التي كانت في طريق رحلته للحج [2]كما تحدث عن المارستان المخصص للمرضى الذي تحدث عنه ابن جبير قبله ووصفه بالعظمة .

وقد أشتهر التجيبي بكثرة التأليف وتنوعها لكنه لم يصلنا منها إلا القليل ولم يعرف له إلا هاته الآثار التي تحتسب له في رصيده وتبقى شاهدة له نذكر منها: – مستفاد الرحلة والاغتراب: ويتضمن وصف رحلته من حيث خروجه إلى عودته، بالإضافة ما أخذه أثناء لقائه بالمحدثين والفقهاء في تنقلاته بين المراكز العلمية [3]

بالإضافة إلى هذه المؤلفات المشهورة نجد أيضا مؤلفات أخرى منها:

– استدراك على كتاب الذيل والتكملة إذ ورد في هذا الاستدراك تراجم منها مؤلفه.

– الأربعون حديثا في فضل الجهاد والحث عليه، قد أخرجها من مروياته للسلطان أبي سعيد المريني الذي كان يعظمه ويجله [4].

[1]عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج1، ص 95.

[2]علي إبراهيم الكردي: المرجع السابق، ص 60 .

[3]عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص 12.

[4]الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ص 220.

الفصل الثاني:

كتب التاريخ العام والتراجم والنوازل في العصر الموحدي

اولا: كتب التاريخ العام والخاص

ثانيا: كتب التراجم

ثالثا: كتب النوازل

أولاً :كتب التّاريخ العام والخاص :

-1-التّاريخ العام :

1- بُغية الظُّرفاء في تاريخ الخلفاء:

لأبي الحسن الروحي، ونسبة الرّوحي لقرية روحة القريبة من القيروان، وهو الشيخ ابي الحسن علي بن عبد الله محمد بن ابي السرور بن عبد الرحمن بن عبد العزيز المتوفى عام 576هـ،1180م ،ذكر انّه بدأ التّأليف عام 559هـ في فترة خلافة عبد المؤمن تناول الكتاب السّيرة النبوية الشريفة مبتدأً بالنّبي الكريم عليه الصلاة والسلام وأُمّه وعماته ،وسيرته الى أن هاجر وكذا صفته ،ثم عرج على أخبار الخلفاء الراشدين ،وبني أُمية والعباسيين والدولة الفاطمية ،اهتم في كتابه بذكر أخبار بلاد المغرب ،والخليفة عبد المؤمن أكثر من مرة[1]،كما أنه أفرد لأمويي الأندلس فصلا خاصا تحدث فيه عن تاريخهم من عام تأسيس الدولة (138هـ/756م)إلى غاية (567هـ/1171)م تاريخ قضاء ابي يوسف يعقوب المنصور على بني مردنيش[2] .

ومن الملاحظ أنّ المُصنف لم يتطرق إلى عصره إلاّ في معرض حديثه عن عبد المؤمن حيث قال "وهو باق الى سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وهو عصرنا الذي الفنا فيه الكتاب" [3] .

---

[1] عبد القادر بوباية: **مصادر من تاريخ المغرب والاندلس** ،ط1،كوكب العلوم للنشر ،الجزائر ،2011م/1432هـ ص 100.

[2] ابوالحسن الروحي: **بلغة الظرفاء** تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر د.ت، ص97.

[3] لم اتوصل للعبارة في النسخة التي حققها محمد عزب بل أشار اليها عبد القادر بوباية في نسخة من تحقيق عماد أحمد هلال وآخرون منشرات وزارة الأوقاف المصرية.

2- الاكتفاء في أخبار الخلفاء (حي سنة 594هـ):

هو أبو مروان عبدالملك بن أبي القاسم التّوزري المعروف بابن الكردبوس[1] ،أُختلف في اسم أبيه وجده [2].

مُحدّث ومؤرّخ ولد ونشأ في توزر ثمّ رحل إلى الاسكندرية سنة 573 هـ،1177 م، ومنها عاد إلى تونس حيث قضى ردحًا من الزّمن وبعد ذلك رجع إلى توزر التي استقرّ بها حتّى وفاته[3] حيث دفن بها.

رحل الى المهدية وتلقى العلم على يد الشّيخ المازري، [4]محمد بن ابي القاسم بن عبد الرحمن التميمي ،أما أبرز مؤلفاته فهي "الإكتفاء في أخبار الخلفاء " الذي تطرّق فيه إلى التاريخ السياسي للعالم العربي والإسلامي في عصر النبوّة والخلفاء الراشدين وخلفاء بني أميّة في المشرق والأندلس إلى أيام يوسف بن يعقوب ثالث خلفاء الدولة الموحدية الذي

---

[1] عبد الله محمد بن عبد الله ابن الآبار القضاعي ت658هـ: **التكملة لكتاب الصلة** تحقيق: عبد السلام هراس، ط1، دار الفكر، بيروت، ج2 ،1995م ص162.

[2] ايمان محمود حمادي وعلاء حامد جاسم حمادي: **ابن الكردبوس منهجه وموارده في كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء** ،مجلة الآداب ،ع127، 2018هـ/1440هـ ص149.

[3] عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون :تحقيق خليل شحادة ،سهيل زكار، دار الفكر ،لبنان ، ج6، 2000م ص 301.

[4] الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري مستوطن المهدية. ولد في ما زر مدينة بجزيرة صقلية على الساحل الموازي لإفريقيا، ويلقب بإمام المالكية ،وذلك لتبحره في في العلوم الدينية ،له مؤلفات كثيرة منها ظم الفرائد في علم العقائد ، تعليق على مدونة سحنون بن سعيد التنوخي، في الفقه المالكي.، الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء، في نقد كتاب إحياء علوم الدين للغزال، شرح التلقين ،ويذكر ان من تلقى علي يديه الامام المهدي بن تومرت عند استقراه في المهدية، حيث اخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب نظره كان حينها المهدية تحت امرة الزيريين في عهد علي بن يحى الزيري الذي لم يكن في كفاءة من سبقوه في الإدارة .انظر شجرة النور الزكية ص 146.الاعلام ج6،ص228.توفي في مدينة المهدية عام 536هـ /1141م عن عمر 83سنة .

عاصره ، وختم التأليف بالتّأريخ لخلفاء بني العباس وله أيضا وله أيضا "الأربعون حديثا وهو كتاب في حكم المفقود".

قسم ابن الكردبوس الكتاب الى قسمين رئيسين :

القسم الأول: بدأه بذكر الدولة العربية والسيرة النبوية والخلفاء الراشدين، بدأ الحديث بأبي بكر الصديق واسمه ونسبه ولقبه وكنيته ومكانته وإسلامه ومناقبه ومن أسلم على يديه من الصّحابة الكرام، وصفاته وكاتبه وحاجبيه ونقش خاتمه ووفاته، ودفنه ثم أشار الى عثمان وتحدث كذلك عن نسبه ومولده وغيرها من الأمور التي تحدث عن ابي بكر فيها ومقتله وأعماله ثم تحدث عن سيرة الامام علي رضي الله عنه والفتنة ووقعة الجمل واستشهاد الصّحابة فيها وقصة التحكيم وظهور الخوارج وقتال علي لهم و مقتله، [1]كما أشار الى أبناء علي وفضل الحسن، أمّا الدولة الاموية فبدأ بمعاوية رضي الله عنه والخلفاء من بعده ، والدولة الاموية في الأندلس، كما أشار ابن الكردبوس الى فتح الجزيرة إلى غاية عهد أبي يوسف يعقوب الموحدي.

القسم الثاني :تحدث فيه عن خلفاء بني العباس تحت عنوان ذكر بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم وسبب ظهورهم [2]، مركزًا على عبد الله بن عباس رضي الله عنه في حديثه وبنيه مستطردًا على الدّعوة السرية التي قام بها محمد وإبراهيم وأبي جعفر المنصور حيث ذكر ترجمته ونسبه وبيعته ووزراءه وكتابه، وبناء بغداد والأحداث التّي حصلت زمن المنصور كمقتل أبي مسلم [3]وأكمل كلامه عن الخليفة محمد بن عبد الله المقتفي (530-555)،(1135-1160)م وأضاف اليها بعض النّوادر متبعا منهج

[1] ايمان محمود حمادي و علاء جاسم :**المرجع السابق** ص159.

[2] ابن الكردبوس: **الاكتفاء في اخبار الخلفاء قسم اخبار بني العباس**،ط1،تحقيق صالح بن عبد الله الغامدي ،مكتبة الملك فهد ،2008،1429م ج2 ص23.

[3] ابن الكردبوس ،المصدر نفسه ص138.

المسعودي لكن أكثر غنًا بالمعلومات والنوادر عن الخلفاء، والحديث عن أبي العباس السّفاح والبيعة التّي أخذها والمعركة الفاصلة بينه وبين مروان بن محمد الأموي منهيًا هذا القسم بعبارة "كمل كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم ولاحول ولاقوة إلاّ بالله العلّي العظيم " .

المنهج المتبع: اتبع ابن الكردبوس منهجًا واحدًا في ترجمة الخُلفاء العبّاسيين وهي ذكر اسم الخليفة ثم نسبه وكنيته ووزراءه ثم الأحداث التي وقعت في عصرهم ثم النّوادر والأخبار التّي حدثت مع أصحابهم [1] .

كما أنه اتبع منهج الحوليات في التّأريخ للأحداث بالسّنوات مثل أحداث السّيرة النّبوية، وهذا ما يضمن الترتيب الزّمني للأحداث، كما أنّه اتبع تسلسل العهود أي تدوين الأحداث عن طريق تعاقب الخُلفاء وهذا نجده في العهد الراشدي ،الأموي و العباسي حيث تحدث عن الاحداث التي عاصرت كل خليفة ثم الاحداث التي عاصرت الخليفة الاخر وهو منهج متبع عند بعض المؤرخين المسلمين على غرار اليعقوبي ،كما انه في ترجمته للصحابة الكرام ركز على الجانب التّاريخي على غرار بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب وقد أشار إلى هذا في فضلهم وأن الكتابة لهم شرف ورفعة ، كما أنه تجنب المعلومات الغير الضرورية في نظره عند الترجمة للخلفاء ، والإقتصار على الأخبار المهمة كالأعمال الحربية والمآثر البارزة .

الملاحظ أيضا إهمال الأسانيد التي شاعت في ذلك العصر في عرض المادة التاريخية مما ميز كتابه بالإختصار والإيجاز والوضوح ،كما تمتع أسلوبه بالنقل عن غيره ، وكان يستخدم الأساليب المشوقة الجذابة ، والنّزعة الشعرية والأسلوب الأدبي الجيّد .

ونستطيع ان نجمل المنهج المتبع بالنقاط التالية:

[1] عبد القادر بوباية :المرجع السابق ص114.

1تنوع المناهج اعطى للكتاب قيمة تاريخية كبيرة .

2-اختصار السيرة النبوية وذكر التواريخ لأغلب الأحداث التي عاشها

3-في موضوع الخلافة الرّاشدة اختصر موضوع خلافة ابي بكر الصديق

4-ذكربعض الفنون في عصر الخلافة الرّاشدة كإجازة الغناء المباح [1].

-بالنسبة لموقفه من الموحدين فقد كان ممن ناصرهم وتبنى أفكارهم فقد وقف ضد المرابطين في وصفهم بالكفرة الفاجرين والجاهلين المنافقين، بل وصف المهدي بالمعصوم ويبقى موقفه هذا محط تساؤل هل كتب هذا عن قناعة وتزلف وطلب القربى منهم أو تم خوفا من بطشهم خاصة أن الموحدين بسطوا نفوذهم الى المهدية فخشي على نفسه[2]"ولما كثر بالغرب الفساد الملثمين وانحيازهم عن الدين وانطمست اثاره واندست اخباره وعفا رسمه ...إلى أن جاء الله تعالى بالإمام المعصوم المهدي رحمه الله...فقام الامر بعده عبد المؤمن بن علي فاعز الله بقيامه الدين وأذل الكافرين "[3].

3 - نظم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان لابن القطّان المراكشي:

-ابومحمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني [4] الجزء المنشور يعد جزءا يسيرا من كتابه الذي لم يعثر عليه وهو عباره عن موسوعة تخص جغرافية المغرب

---

[1] ايمان محمود حمادي و علاء جاسم: المرجع السابق ، ص162.

[2] ابن الكردبوس :المصدر السابق ، ص 28.

[3] المصدر نفسه :ص 28.

[4] أورد الدكتور علي مكي ان الباحثين اخطاء في نسبة الكتاب لابن قطان لام الاسم تشابه عليهم وان الذي ذكر انه لا يعدو والد المؤلف، وان سبب ذلك يعود ان المؤرخين القدامى ذكروا ما اشتهر به أي ابن القطان دون اسمه، ونتيجة لذلك وقع من حققه وهو ليفي بروفنسال في هذا الخطأ، ولحقه من بعده من الباحثين على ان الاب ما لبث ان غضب عليه ونفي الى سجلماسة حيث توفي فيها متقلدا منصب القضاء، انظر مقدمة المحقق، نظم الجمان ص10.

والأندلس لمدة ستة قرون، تحدث الكتاب عن أخبار من سنة 501هـ الى غاية 533هـ/1138،1107م وحتى هذه المدة الوجيزة ليست كاملة ففيها نقص [1] .

عاصر الكاتب اوقاتا حرجة كانت تمر بها دولة الموحدين من الصراع بين المرتضى وابي دبوس[2] على الحكم، وكتب للأول كتاب النظم على ما ذكره ابن عذارى في كتابه حيث انه قال فيه

"وكان المرتضى [3]محبا في مطالعة الكتب وتواليفها وتصنيفها فالف له الفقيه ابومحمد ابن القطان جملة من الكتاب الحفيلة الجليلة ...ومنها نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان"[4] .

تمثلت أهمية الكتاب في الاقتباس من المراجع اللاحقة عنه، حيث ان ابن عذارى المراكشي، وصاحب الحلل الموشية وابن الخطيب في كتاب أعمال الأعلام والونشريسي في العيار المعرب نقلا عنه، ولايخفى توجه الكاتب الموالي للموحدين، وتعصبه لمن يخدمه ويهاجم خصوم الدولة خاصة الموحدين من المرابطين بل ويتهمهم بالتشبه النساء "وكذلك المجسمون فهم يشبهون النساء في تغطية الوجه والتلثم والتنقب ويتشبه نساؤهم بالرّجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب "[5] .

---

[1] محمد المنوني :**مصادر العربية تاريخ المغرب** ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،ج1، 1404هـ/1983م ص57.

[2] أبو العلا الواثق بالله إدريس بن محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بأبي دبوس (حكم من سنة 1266 م إلى مقتله سنة 1269 م)، هو آخر خلفاء دولة الموحدين قبل انهيارها وقيام دولة بني مرين على أنقاضها

[3] أبو حفص المرتضى عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن هو خليفة الموحدين بين عامي 646 هـ (1248 م) و665 هـ (1266 م) .وهو الخليفة قبل الأخير في سلسلة خلفاء الموحدين؛ إذ خلفه إدريس الواثق، الذي انطوت بمقتله صفحة دولة الموحدين.

[4] ابن عذارى :المصدر السابق : ص 446

[5] ابن القطان :المصدر السابق: ص 97.

بل يصل الأمر الى التشفي بهم وبالهزائم التي تعرضوا لها من النصارى الذين هم أعداء للمرابطين والموحدين على السواء"وذهب من المسلمين ما يزيد عن اثني عشر الفا بين قتيل واسير ...وكل هذا ممامهداالله به أمر الموحدين أعزهم الله " [1]ولم يكتف بالهجوم على المرابطين بل هاجم الفاطميين في مصر وهو لا ينسى مدح الموحدين لكن الملاحظ هنا ان ابن القطان لم يشر الى أحوال المغرب التي ليست بأحسن حالا من المشرق أن لم تكن أسوأ ، ويمدح رجالات دولته ويذكر الكرامات عن فضائل المهدي حيث ذكر نسبه الشريف وعن عصمته"فمن عصمته رضي الله عنه عصمته من أهل الإسكندرية فانه رأى بها مناكر فغيرها فقامت عليه الغوغاء ...ولم ينله من بأسهم على غربته "[2].

وقال إن لعبد المُؤمن كرامات كذلك وعدّدها مُوظفا أحاديث نبوية ويقوم بتأويلها لصالح الموحدين التي كانت في آخر ايامها فقد تكالب عليها النصارى وثوار الأندلس أمّا في بلاده فقد ظهر أمر المرنيين واستفحل خطرهم على الموحدين إضافة الى النّزاع بين بيت الحكم أنفسهم وهوما أدى الى قتل المرتضى الذي ألف له الكتاب، أما كتابه نظم الجمان، كما يُستشف من القطعة الباقية منه، فإنه تاريخ "بلاطي" خالص، من طراز الكتب التي ألفها مُؤرخون "منتفعون" من الدولة التي يستظلون بظلها.

2 – التّاريخ الخاص والأنساب :

أ– أخبار المهدي بن تومرت

ألفه "ابوبكر بن علي الصنهاجي ت 555هـ/1160م" الملقب بالبيذق وسمي البيذق لقصر قامته او تواضعه، وقد ناصر دولة الموحدين، وكان من أوائل من التحق بدعوة المهدي، والداعين له، أُلف الكتاب في نواحي 580هـ/1184م، وانتهى من تسجيل

[1] المصدر نفسه ص154

[2]ابن القطان: المصدر :نفسه ،ص91.

الأحداث التاريخية عام 580هـ عند وفاة عبد المؤمن بعد، موقعة "شنترين"، [1]ويشتمل كتاب البيذق على قسمين الأول يتحدث عن دعوة عبد المؤمن ورحلته الى المغرب وظهور دعوته وفيه العناوين التالية: دخول المعصوم تونس، قسنطينة، الخروج من ملالة وسير المعصوم الى المغرب، دخول المعصوم تلمسان وارتحاله منها [2] .

اما القسم الثاني فيتحدث فيه عن حركة عبد المؤمن ببن علي وسعيه لتأسيس الحكم الموحدي، وعلى موقفه تجاه المعرضين لحكمه في كل من الاندلس والمغرب.

تنبع أهمية الكتاب من ان مؤلفه كان معاصرا لأحداث المهمة، وتسجيله لتلك الاحداث بأسلوب واضح ولغة بسيطة، معتمدا فيها على ذاكرته، وان كان تخللها بعض العبارات العامية والألفاظ البربرية، والكتاب يعطي معلومات مهمة عن طبيعة المجتمع، وطريقة التفكير والثقافة السائدة في ذلك العصر[3] .

ب – المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب:

لمؤلفه ابي بكر بن علي الصنهاجي"البيذق " ومن العنوان يظهر انه اختصار لكتاب الانساب الذي لم يعثر عليه فهو يعتبر ظائعا [4]امتاز الكتاب بذكر معلومات عن التنظيم السياسي لحركة الموحدين كما انه قدم معلومات عن القبائل التي ساندت الحركة الموحدية، ابتدأ في الجزء الأول منه بالتحذير من الغرور بالنسب ثم ذكر نسب المهدي بن تومرت حيث نسبه الى البيت الشريف حيث أورد "محمد بن عبد الله بن وكليد بن

[1] هي معركة وقعت بين النصارى والمسلمين بقيادة يوسف بن عبد المؤمن اثناء حصار شنترين وفشل الحصار، وأدى ذلك الى إصابة يوسف بجروح أدت في النهاية الى وفاته.

[2] البيذق: المصدر السابق: ص 151. هي معركة وقعت بين النصارى والمسلمين بقيادة يوسف بن عبد المؤمن اثناء حصار شنترين وفشل الحصار، وأدى ذلك الى إصابة يوسف بجروح أدت في النهاية الى وفاته.

[3] عبد القادر المرجع السابق ،ص92.

[4] محمد المنوني :المرجع السابق ص43.

يامصال بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن فاطنة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم "[1] .

ويبدوا أن البيذق كذلك أرجع نسب عبد المؤمن الى البيت الشريف يقول في المقتبس "عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلا بن الحسن بن كنونة بنت ادريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنه "[2]،ثم ان المؤرخين الذين نشأوا في كنف الدعوة الموحدية و المتشبعين بمبادئها يؤكدون انتساب المهدي وابن تومرت للنسب الشريف ، و يأتي على رأس هؤلاء أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، و ابن القطان حيث عمد ابن أبي زرع الى الارتياب في صحة هذا النسب بينما نجد "ابن خلدون" والذي أولى عناية واضحة لتاريخ دولة الموحدين يفضح صراحة المتحاملين على ابن تومرت باسم الحقد والحسد الذين استوليا على قلوب خصومه قاصدا في ذلك فقهاء المالكية نظرا لتفوقه عليهم في أمور العلم وفي هذا الصدد يقول "وأما انكارهم نسبه في أهل البيت فلا تغضه حجة لهم مع أنه أن ثبت أنه ادعاه وانتسب إليه فلا دليل يقوم على بطلانه لأن الناس مصدقون في أنسابهم" [3] .

لهذه الإشكال قد أوجده "ابن خلدون"، "بأن نسبه الشريف كان خفيا قد درس عند الناس، وبقى عنده وعند عشيرته يتناقلونه فيهم، فيكون النسب الأول كأنه انسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها فلا يضره الانتساب الأول في عصبتيه، اذ هو مجهول عند العصابة".

ويبدو أن جدال "ابن خلدون" من أجل إثبات صحة نسب المهدي في آل البيت إنما يرجع لإعجابه بالرجل وبعظمة الدولة التي قامت من بعده فألهاه ذلك عن اعتبار الدواعي التي

---

[1] البيذق :**المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب** :تحقيق: عبد الوهاب بن منصور ،الرباط ،دار المنصور للطباعة والنشر والزراقة ،1971م ص12.

[2] المصدر نفسه ص 13

[3] عبد الرحمن بن خلدون : المصدر السابق ،ج6،تحقيق: خليل شحادة ،سهيل زكار ندار الفكر ،لبنان ،ص 2000م ص 301.

ترجع أن نسبه منتحل وأنه المهدي المنتظر ،ولم كتف البيذق بذكر نسب المهدي وعبد المؤمن فذكر انساب اهل عبد المؤمن كأمه واخوته وقرابته وتكلم عن الشيخ ابي محمد بن عبد الله بن محسن بن بشير، كما تطرق الكتاب لحادثة تمييز الموحدين على يد ابن تومرت.

ج –كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدي بالموحدين :

أبو محمد عبد الملك بن محمد بن احمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة توفي سنة 594هـ1197م "هو مؤرخ، أصله من مدينة باجة [1]،ثم استوطن إشبيلية، ولا يُعرف شيء عن أوليته، ولا عن نشأته وتربيته".

لكن المراكشي أشار إلى أنه صنف "تاريخ ثورة المربدين بالأندلس"، و"دولة عبد المؤمن ومن أدرك بحياته من بنيه". ولكن بمراجعة السفر الثاني من كتاب المن بالإمامة تتوضح أمور كثيرة في حياة هذا المؤلف، وقد أشار إلى ذلك محقق الكتاب الدكتور عبد الهادي التازي، الذي كتب بين يدي تحقيقه مقدمة توضح الكثير مما كان مبهَمًا في حياة ابن صاحب الصلاة.

وكان ابن صاحب الصلاة من المولعين بالأسفار، فلقد ذرع بلاد الأندلس وشمال إفريقية جيئةً وذهابًا، وقابل الكثير من أعلام الزمن، وعاصر غير قليل من أحداث حقبة الموحدين، وأخذ عن الثّقات من كبار المؤرخين وهو من الدّقة بحيث يذكر الأحداث بأيامها في نطاق الأسبوع، وتاريخها في نطاق الشهرين العربي والعجمي، والسنتين الهجرية والميلادية.

يؤرخ الكتاب لفترة هامة في تاريخ الموحدي تعتبر مخاض تأسيس الدولة وتمتد الفترة خمسة عشر عاما من 554هـ/1159م الى غاية 568هـ/1172م بداية بذكر عبد

[1] تقع في الجانب الجنوبي للبرتغال حاليا وهي غير مدينة باجة في تونس .

المؤمن وصولا الى الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن، ان الكتاب احتوى على معلومات هامة ويقدم الكتاب تفاصيل مهمة عن الاحداث والاعمال الاقتصادية والمنشئات المعمارية التي كانت سائدة كما يقدم صورة عن الحياة الفكرية والأدبية والدينية وبعض تراجم الاندلسية وبعض الاعمال الحربية للموحدين.

تنقسم المعلومات الواردة فيه الى ثلاث اقسام.

القسم الأول التعريف ببعض الرجال، أو بعض المعاهد كوقفته بإشبيلية عند بناء جامعها الأعظم، أو وقفته عند بناء رباط الفتح، مما لا نكاد نظفر بتفاصيله عند غيره[1].

القسم الثاني: ذكر الاحداث التي كان شاهدا عليها بنفسه والتي تبدأ عادة بقال المؤلف او قال عبد الملك بن صاحب الصلاة.

القسم الثالث: وهي المعلومات التي نقلها عن المؤرخين المشهورين، أو عن ما تحصل عليه من وثائق الرسمية بحكم قربه من مركز القرار[2] .

تتمثل أهمية الكتاب التاريخية بكونه مصدرا مهما جعلت المؤرخين ينقلون عنه مثل ابن القطان وابن عذارى، وابن الآبار وغيرهم وأضحى المصدر الرئيس في استقاء المعلومات، حيث ذكروا عنه نقولات لم ترد في النسخة التي عُثر عليها من الكتاب.

إلاّ أن الكتاب على هذه الأهمية لم يتطرق الى المرحلة الأولى من حياة المهدي الحافلة، وهي المرحلة التي تواجد فيها في المشرق، كما أن فيه أخبار ساذجة إذا صحت العبارة[3] .

---

[1] موقع مجلة دعوة الحق: **كتاب المن بالإمامة (لابن صاحب الصلاة)** عدد93، الساعة 2:41.

[2] ابن صاحب الصلاة :**المن بالإمامة** ،تحقيق عبد الهادي التازي ،دار الغرب الإسلامي ،ببروت ط3، 1987م ، 25.

[3] وليد بزوجي :مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية بعنوان **دولة الموحدين بعد موقعة العقاب ،دراسة في التراجع الحضاري في الغرب الإسلامي** ،جامعة الجزائر ،1435-1436هـ/2014-2015م ص3 .

د – المعجب لعبد الواحد المراكشي :

هو عبد الواحد بن علي التميمي ويلقب بمحي الدين ،وكنيته أبو محمد المراكشي المغربي المالكي [1]، وُلد في السّابع من ربيع الثاني عام581هـ،1185/625م،1228م في مراكش ،مع مستهل حكم الخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ،تلقى تعليمه الاولي في فاس ،حيث قرا القران [2]، وكان مقربا من البلاط الموحدي لصداقة جمعت بينه وبين يحي بن أبي يعقوب يوسف وكانت معه مراسلات كثيرة حيث ذكر في معرض ترجمته للخليفة يوسف "كان يحي هذا صديقا لي ،ومن جته تلقيت أكثر أخبارهم ،لم أر في الملوك ولا في السّوقة مثله ،واستجزت لفظ الصداقة مع أن الواجب لفظ الخِدمة "[3] .

استخدم كذلك عبارات الثناء والتمجيد عند ذكره "أخبرني السيد حقيقة والماجد خلقا وخليقة ابو زكريا يحي بن الامام أمير المؤمنين ابي يعقوب"[4] ،على أن عبد الواحد كان على صِلة وثيقة بأمير موحدي آخر هو إبراهيم بن ابي يوسف يعقوب ، وهذا الكلام يدل على مكانة عبد الواحد وحضوته عند الموحدين، مما يجعله أكثر قربا من صناعة القرار وهذا يدل على قيمة الكتاب الكبيرة ،من ناحية دراسة تاريخ الموحدين ،

أما عن ظروف كتابة الكتب فقد ذكر أنه ألفه استجابة لطلب أحد الوزراء للخليفة العباسي الذي لم يذكر اسمه يذكر في مطلع كتابه " إنك سألتني بوأك الله أعلى الرّتب ،كما عمرك بك أندية الأدب ...إملاء أوراق تشمل على بعض أخبار المغرب وحدوده وأقطاره وشيء من سير ملوكه وخصوصا ملوك بني عبد المؤمن "[5] .

---

[1] خيرالدين الزركلي :**الاعلام** ،دار العلم للملايين ،بيروت ،2002م،ج4،ص176.

[2] عبد الواحد المراكشي :المعجب ص 446.

[3] المصدر نفسه ص317.

[4] المصدر نفسه ص297.

[5] المصدر نفسه ص 2.

قسم عبد الواحد الكتاب الى قسمين رئيسيين :

القسم الأول: يتعلق بالأندلس في أكثره، ذكر في بدايته، جغرافية الأندلس عنونه بفصل في ذكر جزيرة الأندلس وحدودها، وتقسيم أقاليمها، والمدن التي يملكها المسلمين منها، ثم عرض الى أخبار فتحها، ذكر سنه 92هـ من شهر رمضان، ثم ذكر من دخل من التابعين اليها للجهاد منهم محمد بن أوس بن ثابت الانصاري [1]، وحنش بن عبد الله الصنعاني [2]،ثم ذكر ابتداء دولة الامويين في الأندلس بعد دخول عبد الرّحمن الداخل فخلفه من الأمراء حتي انقراض دولتهم ،ثم عرض للملوك الطوائف ثم بعدها حكم المرابطين .

القسم الثاني: تحدث فيه عن دولة الموحدين من بداية التأسيس ذكر فيه أول رجالها المهدي بم تومرت إلى غاية حكم يوسف الثاني 621هـ/1224م [3]الذي يعد آخر

---

[1] هو ابن الصحابي أوس بن ثابت وعمه الصحابي الجليل حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف .

[2] حنش الصنعاني بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة، أبو رشدين النسائي كان تابعيا وقاتل إلى جانب علي بن أبي طالب وهو من بنى جامع قرطبة والجامع الكبير في سرقسطة حدث عن: فضالة بن عبيد، وأبي هريرة، وابن عباس، ورويفع بن ثابت، وأبي سعيد. وحدث عنه: ابنه الحارث، وقيس بن الحجاج، وعبد الله بن هبيرة، وخالد بن أبي عمران، وربيعة بن سليم، وعدة. نزل إفريقية مرابطا، وتوفي سنة مائة. وثقه العجلي: وأما ابن يونس فقال: كان مع علي، وقدم بعد مقتله مصر، ثم ثار مع عبد الله بن الزبير، فولاه اليمن لاحقاً، فلبث مدة أربعة أشهر وعزله. فظفر به عبد الملك بن مروان فعفى عنه.

قلت: وهم ابن يونس وابن عساكر في أنه صاحب علي، لأن ذاك حنش بن ربيعة أو ابن المعتمر الكناني الكوفي، يروي عنه الحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وأهل الكوفة، وفيه لين. مات قبل التسعين .[4] وقد ذكر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي أن حنش توفي في زمن عمر بن عبد العزيز.

[3] أبو يعقوب يوسف المستنصر بن الخليفة محمد الناصر، ويعرف أيضًا بيوسف الثاني هو خامس خلفاء الموحدين . تولى الخلافة بعد أبيه الناصر من سنة 1213 م إلى وفاته سنة 1224 م. وقد توفي المستنصر دون عقب، فأقام الموحدون مكانه أبا محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، وشهدت دولة الموحدين بعده زمنًا من الفتن والصراع على السلطة .

السلاطين المتمكنين ثم بعده توالت الفتنة وأخذت الدولة في الانحدار إلى غاية فناءها بدخول بني مرين الى العاصمة .

كتب في ذيل كتابه ملحقا تناول فيه عادات المصامدة وأخبارهم وقبائلهم.

منهجه : يتميز بالإيجاز وذكر الأخبار المهمة ، كما أظهر ولاء للموحدين صادقا على اعتبار أن الكتاب أُلف في الشّرق حيث كان خارج السلطة الموحدية ويبدي رايه فيها بعيدا عن الضغوط ،كما تميزت خطة كتابه بتأريخ على حسب الموضوعات على غرار القسم الأول الذي تحدث عن جزيرة الأندلس ثم موضوع الفتح الإسلامي لها الى موضوع فضل المغرب الذي عنونه بفصل في فضل المغرب ثم التأريخ للحكام والخلفاء مع الإشارة الى أهم الشخصيات التي عاصرتهم وأيضا يؤرخ بالسنوات مع ايراده لتأريخين في نفس الموضوع وذلك دلالة على عدم يقينه بتاريخ الحدث وكان أيضا يؤرخ بالشهور والسنوات كما أنه يذكر تاريخ الحدث بالتاريخ والسنة واليوم اذا تأكد منه .

ومن أهم ملامح الكتابة التاريخية عند عبد الواحد الكتابة التاريخية المعاصرة ذلك لمعاصرته لبعض الأحداث كبيعة ابي يعقوب حيث يقول "وبويع البيعة الخاصة يوم الخميس والجمعة بايعه أشياخ الموحدين ويوم السبت أُذن للنّاس عامة شهدت ذلك اليوم وأبو عبد الله بن عياش الكاتب قائم يقول: تبايعون أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب الرّسول صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة ..."[1].

[1] المصدر السابق ص 407.

هـ –أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي

و عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى أبي بكر الصنهاجي(ت 626هـ/1230م) ويُعرف باسم ابن حماد أو الصُّنْهاجي، نزيل بجاية، هو قاضي، مؤرخ وأديب أمازيغي معاصر للدولة الفاطمية ينحدر من قرية حمزة من حوز (قلعة حماد)بالجزائر درس بالقلعة وإليها نسبته وببجاية،وُلِي قضاء الجزيرة الخضراء ثم سلا سنة 613هـ ثم قطن في مراكش، وتُوفي بها زار كلا من الجزائر وتلمسان والمغرب الأقصى ولقي خلال رحلته العديد من العلماء واخذ عنهم .ومنهم الشيخ ابي مدين شعيب اخذ عنه" المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى " في بجاية [1] .

تحدث ابوبكر في كتابه ،عن حركة الفاطميين وبداية دعوتهم حيث عرف بنسبهم واثباته "اختلف الناس في نسبته الى الحسين –يقصد عبيد الله المهدي[2] –فمن مسلمين ما ادعاه ومقرين بما حكاه نومن دافعين وما نعين ماانتحله ولايزالون مختلفين الامارحم الله فالذي ادعاه هوانه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر لبن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم والذي ادعاه الناس لابرهان عليه فلا حاجة لي اليه" [3] .

---

[1] أحمد فريد المزيدي: **شيخ الشيوخ في الامصار أبومدين شعيب –ترجمته –شيوخه وتلامذته وأصحابه** –نصوصه، دار الكتب العلمية ،ص249.

[2] عبيد الله بن الحسين المهدي يُعتَبرُ مؤسسَ سلالةِ الفاطميين، وهي الدولة الشيعيّة الوحيدة التي حكمت عموم المسلمين على غرار الخلافة الأموية والعباسية، وأَسّستْ حُكُمَ الفاطميين في كافة أنحاء مُعظم شمال أفريقيا يعتبر مؤسس السلالةِ الفاطمية والإمام الحادي عشر للشيعة الإسماعيلية المشهور أنه عبيد الله بن الحسين الزكي عبد الله والمتفق عليه عند الشيعة الإسماعيلية وأيضا ايده المقريزي وابن خلدون وبناء على هذا يرجع نسبه إلى فاطمة الزهراء، بنت نبي الإسلامِ، محمد، من خلال الحسين بن علي.

[3] أبو عبد الله محمد الصنهاجي :**اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ص 35.

وهنا يدافع عن النسب الشريف لعبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية كما أنه عرّف بنسب الفاطميين وحركتهم ،وانتقالهم الى بلاد المغرب ،وحملاتهم على مصر ،والخلفاء العبديين في المغرب ومصر والأحداث التي حصلت حنى سقوط دولتهم عام 567هـ/1171م في عهد آخر خلفاءهم أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله[1] ،وأنه أكمل الكتاب عام 617هـ/1220م .

قيمته: يعتبر الكتاب من أهم المؤلفات التّي صنفت عن العبيدين، كما لا يخفى انتماء الكاتب إلى صنهاجة التّي كانت العصبية التّي قامت على أكتافها الدولة العبيدية. وتوسعاتها شرقا وغربا .

و- تاريخ ميورقة :

لأبي مطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي ت 658هـ/1260هـ

بدأ المُؤلف كتابه بقوله "هذا ذكر من خبر ميورقة وتغلب الروم عليها ،من حين أدارت الروم أمرها ،وأرادت أسرها الى أن محقت حقها ،وملطت رقها ،وأخرجت الإيمان من قلبها ،وزجرت أغربتها لفل غربها ،وهو لأحد الرّجلين متعلم لصياغة الكلام و مُتألم ،من صناعة الأيام هذا يتعوذ من سوء القدر وذاك يتعود صوغ الفقر"[2]. وسبب كتابه الكتاب أن رجلا من أهل الجزيرة طلب منه ذلك وكان الرّجل من أعيان القوم وثريا ثم دارت الأيام

[1] هو آخر خلفاء المصريين. ولد سنة ستٍ وأربعين وخمسمائة في أولها وتوفي سنة تسعٍ وستين وخمسمائة لما مات الفائز ابن عمه واستولى الملك الصالح طلائع على الديار المصرية بايع العاضد وأقامه صورةً وكان كالمحجور عليه لا يتصرف في أمرٍو بوفاته انتهت دولة العبيدين وبدأت دولة الايوبيين في مصر .

[2] ابو مطرف احمد بن عميرة المخزومي :**تاريخ ميورقة**، ط1 ،تحقيق: محمد بن معمر ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1428هـ/2007م ص61.

عليه وأضحى معدما "والذي بعث على إثبات هذا الخبر وندب اليَ جمعه على الوجه المختصر ،أحد إخوتنا ممن كان متربا بتلك التربة ،ثم عاد تربا في أرض الغربة " [1].

يتحدث الكاتب عن الفترة المتأخرة من تاريخ الجزيرة من سنة 606ه الى 628ه 1290/1209أي 22 عاما ،بدأ فيها بعنوان ابتداء أمر الجزيرة بالإخبار عن أميرها وتوليه لتدبيرها الى وقت تدميرها وكانت تتبع حينئذ للدولة الموحدية ، وركز المؤلف على مرحلة السقوط وأسبابها وتداعياتها كما أن المُؤلف استخدم أسلوب السجع الذي كان واضحا.

ثانيا :كتب التراجم

1- الإكمال والإعلام في صلة الأعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقه الكرام .

ألفه ابومحمد بن علي بن عبيد الله بن خضر بن هارون الغساني المالقي ،المعروف بابن عسكر[2] كان مقرئا مجودا نحويا ماهرا ومن شيوخه أبو الحسن الشقوري [3]توفي عام 636ه/1239م ولم يكمل تصنيفه فأتمه ابن أخته ابوبكر محمد بن محمد بن علي بن خميس الذي لم يعثر له على ترجمة ولا تاريخ الوفاة وترك عدة مؤلفات على غرار الإعلام منها :

"المشروع الرّوي في الزيادة على غريبي الهروي" ،" نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر" ،"فهرست شيوخه" ،"تكملة كتاب التعريف والإعلام" ،"شرح الآيات التي استشهد بها سيبويه في الكتاب" .

---

[1] المصدر نفسه ،ص62.

[2] لسان الدين ابن الخطيب :**الإحاطة** تحقيق: محمد عبد الله عنان ، ، ط2، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع ، القاهرة، ج1974،1م،ص 172

[3] ابوالحسن علي بن محمد بن علي بم عيسى بن سعيد بن مختار بن منصور بن شاكر الغافقي الملقب بالشقوري رحلت عائلته الى قرطبة ولد في تسعة شوال عام 536ه وتوفي عام 616ه

وكان من أسرة امتهنت التعليم والتربية ومماسة الخطابة في الجزيرة الخضراء وسبتة وكان منهم علماء منهم أبو بكر محمد الذي كان حيا عام 636هـ/1238م تاريخ وفاة خاله ابن عسكر ،كما أن 642هـ/1244م تاريخ وفاة شيخه ابي عبد الله الإستجي[1].الحميري .

تحدث الكتاب عمن سكن من مالقة أودخلها أو مر منها وتحدث عن أخبارهم وأدبهم وبلاغتهم ومراسلاتهم حيث بلغ عددهم 174شخصية من مختلف التخصصات كعلوم الدين والعلوم الانسانية .

-رُتِبَ الكتاب حسب الترتيب الهجائي وصل فيه ابن عسكر الى حرف الميم ثم انهاه فيما بعد ابن خميس ، حيث سمي الجزء الذي انجزه بن عسكر (الإكمال)والجزء الذي انجزه ابن اخته " مطلع الانوار "،[2]وسبب اختلاف العنوان لأن الذي كتبه مؤلفان ،يبدأبذكر الاسم وثم الكنية ويذكر الشخصية هل هي من أهل مالقه أو وافدة عليها ،ثم يورد تاريخ الوفاة إن كانت موجودة [3].

الكتاب من الكتب الأدبية التاريخية، يفيدنا في معرفة تراجم الأعلام، والتاريخ العلمي للمدينة.

2 - الحلة السيراء لابن الأبّار:

ترجمته : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر القضاعي الاندلسي البلنسي المالكي المعروف بابن الأبّار ،يتنسب إلى قبيلة قضاعة من حمير القحطانية ،ولد سنة "595هـ/1199م" في مدينة بلنسية ،نشأ في بيت علم وجاه والده حافظ للقران الكريم ،كان ممن بعث الى السلطان الحفصي إلى تونس لطلب النجدة

[1] أبو عبد الله بن عسكر وابي بكر بن خميس :**اعلام مالقه**،ط1 ،تحقيق عبد الله المرابط الترغي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1999م، ص 24.

[2] محمد رضوان الداية :**كتاب اعلام مالقه**، مجلة مجمع اللغة العربية ،مجلد 84،ج3 ت.ت ص 679.

[3] خالدي رقية: مذكر انيل شهادة ماستر بعنوان :**اسهامات علماء مالقه من خلال كتاب اعلام مالقة ل:ابي عسكر وابن خميس** ،جامعة الدكتور مولاي الطاهر ،تخصص تاريخ ،2018/2017،ص14.

بعد حصار خايمي ملك أرغون لبلنسية عام 636هـ-1238م. من طرف زيان بن مردنيش [1] .

لكن المساعدة وصلت متأخرة فسقطت المدينة في أيدي النصارى تسليما [2]، لمكانة ابن الابار دخل في خدمة اسرة بني مردنيش وعمل كاتبا لديهم حت اخر حكامها زيان قال فيه ابن خلدون [3](علامة في الحديث ولسان العرب وبليغا في الترسل والشعر) .

بعد سقوط بلنسية استقر في تونس في خدمة بني حفص لكن نهايته كانت مؤلمة فقد قتل واحرقت كتبه بعد ان سخط عليه السلطان الحفصي محمد المستنصر بعد ان وصلته ابيات شعر تهجوه فيها وكانت وفاته عام 658هـ/1260م[4] .

ألف بن الابار كتابه عام 636هـ/1284في مدينة بجاية وأنهاه بعد عامين ،وذلك لمدح السلطان أبي زكرياء الحفصي

منهجه : تنفرد الكتاب في ترتيب المعلومات على أساس الزمن ،على عكس البقية الذين رتبوا على أساس الحروف الابجدية ،تحدث فيه عن عبد الرحمن الداخل وكيف استطاع الإفلات من قبضة العباسيين ومروره سكنه ،ثم شيوخه وتلامذته ويختمها بتاريخ الوفاة ومكانها والميلاد والمكان الذي ولد فيه[5] ، للأندلس وقيام دولته ،كما تحدث عن مؤسس

---

[1] خير الدين الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، ط2، تحقيق: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس 1966م، ص28.

[2] ابن الابار: **اعتاب الكتاب**، ط1، تحقيق: صالح الاشتر، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 1961، ص 11.

[3] ابن خلدون :**العبر** ،ج6 ،بيروت ،2006م، ص 368.

[4] ابن الابار: **المقتضب من تحفة القادم** ، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3، 1410هـ/1989م، ص19.

[5] ليث شاكر :**التدوين التاريخي عن المغرب الأدنى حتى نهاية الدواة الحفصية** ،مجلة زاخو ،ع1،مجلد1،قسم التاريخ ،جامعة بغداد، ، ، 2013م ص348.

الدولة الادريسية كذلك وكيف تمكن من الإفلات من العباسيين وملاحقة الرشيد له والقضاء عليه [1] .

كما عرض فيه ابن الأبّار النخب المشرقية والمغربية والترجمة لها وتغطي تراجمه الفترة الممتدة من القرن الهجري الأول إلى غاية النصف الأول من القرن السابع الهجري ثم قان بتذييل كتابه للرجال الذين لم يتمكن من العثور على أشعارهم ،وبلغ من ترجم له حوالي 216شخصا ،ويعتبر الكتاب مصدرا مهما للدارسين لأنه شمل تقريبا كل الوجود الإسلامي في الأندلس كما أنه ترجم لرجال العدوتين المشرقية والمغربية [2]،و من مميزات ابن الأبّار استشهاده بالشعر في ترجمة الرجال ففي ترجمة الحكم بن هشام بعد ثورة الربض قال :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا وقدما لامت الشعب مذ كنت يافعًا

فسائل ثغوري :هل بها اليوم ثغرة أبادرها مستظني السيف دارعًا .

كما أنه كان من المهتمين بالكنى و الألقاب للملوك والخلفاء ،وذِكر سنة تسلم كل منهم للحكم ،واهتم بذكر تاريخ وفاة الخلفاء ومدى حكمهم وبيعتهم ،كما كان مطلعا على ثقافة من ترجم لهم فيصفهم بسعة الاطلاع والفقه ، مشيدا باهتمامهم بالعلم والعلماء ،كما انه أشار لبعض الأعمال البنائية التي قان بها هؤلاء مثل ذكره لبناء جامع القيروان من طرف عقبة بن نافع ،كما ظم كتابه معلومات جغرافية مثل حديثه عن موقع معركة الزلاقة قائلا أنها على مقربة من بطليوس ،كما أشار كذلك للفتوح التي قام بها قادة الإسلام الأوائل

[1] ابن الابار **التكملة** ،ج**1**ص102.

[2] عبد القادر بوباية : المرجع السابق ص 133.

3- التكملة لكتاب الصّلة لابن الأبّار القضاعي :

أتم فيه التّراجم التّي لم ترد في كتاب ابن الفرضي تاريخ علماء الاندلس ،والصّلة لابن بشكوال حيث يقول" هذا كتاب التكملة لكتاب الصّلة الذي ألفه ابو القاسم بن بشكوال فوصل المنفصل وطبق في معارضة ابي الوليد بن الفرضي المفصل ،وجاء بحسنة اثمرت له الحسنى ،وجاد على عفاة العلم بصلة ما أسنى" [1].

ونهج فيه نهج من سبقوه، يذكر الاسم الكامل ثم الكنية ونسبه وبلده الذي ولد فيه والبلد الذي هاجر إليه اتبع الترتيب الأبجدي مع ذكر الأقدم فالأحدث أي أنه بدأ بالتاريخ القديم ثم اتبعه بالحديث في ذكر الرّجال، ويبدأ بالحرف الأول في اللغة العربية .

بلغ من ترجم لهم ابن الأبّار في التكملة نحو 3607 من أعلام الأندلس أومن جاءها[2] .

هذا وفي كتابه كان ابة الابار مقرا بمجهود ابن بشكوال معترفا بفضله ،ان ذكر بعض الهفوات التي سقط فيها [3] .

4 - اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى

لأبي سعيد ابي الحسن علي بن موسى المتوفى سنة 685هـ/1274م هذا الكتاب في حكم المفقود ولأهميته نقل عنه من جاء بعده من الكتاب كابن الخطيب في الإحاطة والمقري في نفح الطيب ، اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل وحققه إبراهيم الابياري وقرئ على طه حسين وأرفق المحقق صورا لبعض المخطوط وقارن بين نسختين منه الأولى في باريس والثانية في مصر .

---

[1] ابن الابار **التكملة،ج1**،ص 58.

[2] عبد القادر بوباية :المرجع السابق ص 134.

[3] يوسف احمد بني ياسين :**تعليقات ابن الآبار في كتابه التكملة لكتا الصلة على ابن بشكوال في كتابه الصلة** ،ع3، مجلد 6، المجلة الأردنية للتاريخ والاثار ، 2012م، ص42.

ترجم الكتاب لاثنين وسعين رجلا ممن لقيهم في القرن السابع أهدي الكتاب الى الأمير ابي زكرياء الحفصي قال فيها بعد الحمد والصلاة على النبي الكريم " فهذه نبذة خاقانية المسلك والمقصد ،من أخبار أدباء عصرنا هذا ومن عنه يؤخذ واليه يسند، مكللة بشذور النثر ،موشحة بنفيس الشِّعر ...سيدنا ومولانا الأمير الاسعد المؤيد الأجل الذي تخصب أرض الجدب من فيض بنانه أبوزكريا ،ابن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين ابي عبد الله "[1] .

– يعتبر الكتاب من المصادر المهمة في التأريخ للحركة الفكرية ،اختصه في بلاد الأندلس [2] .

ونستعرض بعضا ممن ترجم لهم ابن سعيد :

أبو الحسن حازم بن حازم :شاعر ممن اخذ عنه ابن سعيد ورحل الى ارض المغرب [3] .

أبو عبد الله محمد بن الخطاب الهنتاني : قربه الأمير عبد الله بن الأحمر ،وأبو عثمان سعيد بن الحكم بن عمرين الحكم القرشي من طلبيرة غرب الاندلس رحل الى تونس وكان من امراء ميورقة [4] .

ثالثا :كتب الفقه والنوازل

1– مفهومها: النوازل هي: الواقعات والمسائل المستجدة التي تنزل بالعالم الفقيه؛ فيستخرج لها حكماً شرعياً. ويطلق عليها النوازل "و"الفتاوى" و"الأجوبة"و "الأحكام"و "المسائل "، وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة[5].

---

[1] ابن سعيد علي بن موسى :**اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى** ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، الهيئة العليا لشؤون المطابع الاميرية ،القاهرة ،1959م ص ص 55.56.

[2] عبد القادر بوباية :المرجع السابق ص 174.

[3] ابن سعيد: المصدر السابق ص20

[4] نفسه 28.

[5] –محمد بن شريفة: **وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض**، مجلة دعوة الحق، عدد 264، افريل 1987م.

2- أهميتها

كما تعد كتب النوازل مصدرا تاريخيا وفقهيا غاية في الأهمية، وتعد سجلاً حافلاً لجوانب كثيرة من حياة الأفراد والجماعات، وتعمل على كشف العديد من القضايا الفكرية والاجتماعية والتشريعية؛ فالنوازل تعني ما يعرض لأفراد المجتمع من قضايا ومنازعات قضائية تطرح على القضاة، ولهذا الأمر قيمة عظيمة بلا شك لا من الناحية الدينية فقط؛ بل لأنها كذلك تلقي الضوء على كثير من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية[1] .

كما تطلعنا على مدى الأصالة في التشريع المغربي والأندلسي، ومدى أثر البيئات الإقليمية في هذا التشريع كما تعمل على التعرف على النّظم القضائية، ودور المفتين والمشاوَرِين في إرشاد المتقاضين ومناصرة المظلومين وتنوير رأي الحاكمين، والتعرف على المؤسسات الاجتماعية .

3 - نوازل ابن الحاج التجيبي

ابو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي المعروف بابن الحاج القرطبي مواليد 458هـ توفي صفر 529هـ هو شيخ الأندلس ومفتيها الجماعة وكان من كبار فقهاء دولة المرابطين "من خلفه الامام أبو الوليد امام محراب المالكية في دمشق [2]، وهناك من يلقبه بالشهيد كونه استشهد في الركعة الأولى من صلاة الجمعة ولم تذكر المصادر التاريخية سبب مقتله تحديدا [3]وإن كانت تشير إلى جهاده ضد النصارى و حثه الناس على الدّفاع عن أرضهم .

---

[1] احمد السعيدي :**النوازل الفقهية ورفدها للعلوم الإنسانية ،علم التاريخ مثالا** ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد28 ، 2016م ص93.

[2] صلاح الدين بن خلف بن ايبك الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ، (ت 756هـ) ط1، ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ج2 ، 1420هـ/2000م ، ص 102.

[3] يرى إبراهيم القادري بوتشيش هذا الامر .

ويبدأ الكتاب حول موضوع الزواج والصداق ثم مسألة البيوع والشركة ،الحضانة والوصايا والطلاق ،مسائل الإضرار بالجار ، المياه ، الأقضية ، الشفعة ، القراض ، وأخيرا مسائل العقيدة والبدع وهو بذلك يقدم معلومات قيمة جدا عن الملكية الجماعية للأراضي وأراضي الأحباس والملكيات العامة والخاصة ،وأورد معلومات عن كيفية توزيع المياه عن طريق الساقية ، والنزاعات القائمة بين المزارعين وحدم الثروة التي كانت عند بعض الافراد ،كما كانت توضح لنا النشاط الإقتصادي من ركود وازدهار ، وبعض المعاملات غير الشرعية في البيوع ، وغصب الأراضي [1]،والمشاكل بين المالك والعامل .

نوازل ابن الحاج تمكن للبحث التاريخي الإفادة منها في رصد شكل من أشكال العلاقة بين المزارع ورب الأرض، وهو ما يعرف بالمغارسة ومشاكل العملة فأورد ابن الحاج نازلة تبين ذلك مثل انقراض عملة ابن جهور وظهور سكّة ابن عباد "وقال القاضي أبو عبد الله بن الحاج :إذا كان للرّجل على الرّجل دراهم فقطعت تلك السكة فأخبرني بعض إخواننا من ابن جابر فقيه اشبيلية قال :نزلت هذه المسألة بقرطبة أيام نظري فيها للأحكام ومحمد بن عتاب حي ومن معه من الفقهاء فانقطعت سكة ابن جهور بدخول بن عباد سكة أخرى فأفتى الفقهاء انه ليس لصاحب الدين الا السّكة القديمة ،وافتى ابن عتاب بأن يرجع ذلك إلى قيمة السكة المقطوعة من الذهب ويأخذ صاحب الدين قيمة الذهب [2]" .

وهذه النازلة تمثل أزمة اقتصادية ذات أبعاد خطيرة أدت الى كساد التجارة وعدم ثقة الناس في عملات ملوك الطوائف ،وماترتب عنها من غلاء في الأسعار ،يمكن إدراج نوازل ابن الحاج في دراسة التّاريخ الاقتصادي لتلك الرقعة الجغرافية من الأراضي الإسلامية والعلاقات الاجتماعية والأسرية التي كانت سائدة وقياسها على واقعنا فمثلا من نوازل التّي

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، 2002 م، ص37.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش : **حول مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التاريخية** ،كلية الآداب ،مكناس ، ص127.

كانت موجودة ولاتزال تحدث نقاشا حادا الى اليوم هو قضية اسقاط المرأة لجنينها والتي كنا تعتقد انها ظاهرة حديثة لكن النوازل تثبت قدم هذه الظاهرة ولكنها تحدث ضجيجا كلما حدث نقاش حولها .

4 – نوازل القاضي عياض (ت544هـ)

هو الإمام العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي[1] السَّبتي حيث ولد ونشأ وقضى اكثر حياته في مدينة سبتة[2]، عاصر القاضي حكم سلطتين سياسيتين هما: دولة المرابطين ودولة الموحدين، له مؤلفات منها "ترتيب المدارك" و"مذاهب الحكام في نوازل الاحكام" ،وهو كتاب في النوازل ،الذي كتبه ابنه محمد ابن القاضي عياض ت575هـ/1179م "يقول :فإن أبي...لما طال في خطة القضاء دوامه، وساعدته لياليه وأيامه، نزلت إليه من الأقضية نوازل تحار فيها الأذهان والأفهام، ويبعد مأخذها من طرق القضايا والأحكام، فيَحكمُ فيها بما يتجه عنده ويبذل في ذلك استطاعته وجهده ،فيخالفه من يروم ...وأَلفيتُ بعد موته رحمة الله عليه، سؤالاته على تلك النوازل والأجوبة عليها في بطائق فنقلت تلك الأسولة من خطه رضي الله عنه إلا ما نبَّهتُ عليه وكذلك أجوبته وأجوبة الفقهاء عليه أيضاً...وجعلت كتابي هذا ديوان فقه يشتمل على جميعها، وترجمته بـ"مذاهب الحكام في نوازال الأحكام " وجعلت كتابي هذا ديوان فقه يشتمل على جميعها ."[3] على أن المصادر تشير الى محنة المذهب المالكي الذي أحرقت

---

[1] نسبة إلى قبيلة عربية ترجع إلى حمير، وتُنسب إلى يحصب بن مالك.

[2] شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني :**أزهار الرّياض في أخبار عياض**، تحقيق: إبراهيم الابياري وآخرون ، مطبعة لحنة التأليف والترجمة والنشر ، 1358هـ/ 1939 م ،القاهرة ص 23.

[3] القاضي عياض وولده : **مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** تحقيق: محمد بن شريفة دار الغرب الإسلامي ط2 ، 1997م ص ص 30.29

كتبه نتيجة الصدام العقدي بين الموحدين وفقهاء المالكية[1] على رأسهم القاضي عياض ، الذي يقتل على الأغلب على غرار القاضي عثمان التلمساني [2].

يمثل كتاب " مذاهب الحكام في نوازل الأحكام "كشفا لبعض الجوانب من حياة الجماعات قد لا يكشف بغيرها كما يظهر فيها تاريخ الفئات العامة والبسيطة التي لم تذكر في كتب التاريخ العام وكتب التراجم التي تذكر مشاهير الرجال وأعيانهم . نوازل عياض نموذج للمؤلفات الفقهية التي تهتم بوقائع الناس الجارية ومشكلاتهم الناشئة، وأقضيتهم الطارئة، وأهمية الكتاب تتجلى في كونه مرجعا فقهياً يحتوي نوازل تكشف عن وقائع الحياة اليومية بالمغرب والأندلس إبَّان عهد المرابطين.

وهي من نتاج فترة توليه خطة القضاء، وترتيبها، والتذييل عليها، وتتميز هذه النوازل بأنها تشتمل على أجوبة تمثل الفتوى في الغرب الإسلامي ، ونجد فيها أسماء عدد من المفتين المعروفين في الجناح الغربي من العالم الإسلامي. فمن أهل الأندلس ابن رشد، وابن الحاج[3]، وجل الفتاوى الموجودة في هذه النوازل هي لهذين الفقيهين القرطبيين الكبيرين، المذكورين ويكاتبهما فيما يعرض عليه من أقضية تكون محل اختلاف بين الفقهاء المحليين مستنجداً برأيهما ومهتدياً بهديهما، وكانت فتاويهما تأتي مُؤكدة لأحكامه[4]. ونوازل عياض لها قيمتين: قيمة فقهية، استفاد منها الفقهاء وأولهم ابنه الذي جمعها

[1] لخضر بولطيف : **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي** ، ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، 2015م ، ص 182.

[2] تساءل الأستاذ بولطيف حول فرضية القتل كون ان المقري الذي كتب ازهار الرياض في اخبار عياض لم يورد الحادثة في كتابه، حيث انه احرى ان لا يفوته هكذا خبر .، لخضر بولطيف فقهاء المالكية ص 183.

[3] جاء فيها جواب ابن رشد في باب النكاح حول نازلة عن فسخ النكاح قبل البناء وبشرط الخدمة في اخر الجواب نجد قاله ابن رشد، المصدر السابق ص 273.

[4] المصدر السابق : ص 13.

والقيمة الثانية تاريخية، كالنوازل التي يرد فيها ذكر بعض المعالم والخطط في هذه المدينة كأسماء بعض الأزقة والأبواب والمساجد [1]والحمامات والمقابر والأسواق والبساتين، وكأسماء بعض الأسر والأعلام المشهورة في سبتة.

وأبرز عياض التدرج الطبقي في الأندلس حيث قسم المجتمع الذي عاصره إلى طبقتين: "الخاصة والعامة" [2].

[1] المصدر نفسه ص 193.

[2] عياض: **الغنية**، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982 م، ص 28.

خـــاتـمـــة

إن دراستي لموضوع حركة التدوين التاريخي في العهد الموحدي هذه الدولة التي كانت ولاتزال تثير نفوس الباحثين في صبر اغوار تاريخها قد قادني الي مجموعة من الاستنتاجات التي تخص هذه المرحلة والتي أوجزها في النقاط التالية .

-انّ المؤلفين في حقل التاريخ خاصة المقربين منهم كان لهم ولاء صادق نحو من يخدمونهم ، ولا نستطيع القول أنّ مدح الدولة الموحدية قد كان تزلفا فقط، وإن كنت لا أنفي هذا الامر أيضا ، لأن بعض المؤرخين كان بعيدا عن سطوة الدولة ورغم ذلك لم يظهر للموحدين انكارا وهذا وان اثر على صدقية بعض الكتابات لولائها التام ،إلا انها تمثل الجزء الأهم من تاريخنا بكل تجلياته والذي لازال يحتاج الى دراسة ونظر .

-إن المؤلفين في هذا العصر لم يكونوا مجرد خدم وإنما وصلوا في بعض الأحيان الى مراتب عليا في القربى من أولي الأمر ،وكانت لهم صداقات قوية مع الأمراء مما جعل كتاباتهم تحظى بأهمية بالغة فيما يتعلق بموقف السلطة الحاكمة من الأحداث المحلية والخارجية في ذلك الوقت .

-هناك بعض الأحداث مازالت تحتاج إلى بحث دقيق، وإلى تقليب في كتب المصادر وإعمال التمحيص والتدقيق لغاية استجلاء كنهها وتوضيح ملابساتها كقضية مقتل القاضي عياض الذي رأى بعض الباحثين أن مصيره جاء نتيجة لموقفه من السلطة الموحدية .

-ساهم الرّحالة والجغرافيون في إعطاء لمحة وفكرة عن الشعوب التي حلوا بها والبلدان التي زاروها من جوانب كثيرة كالجانب الاقتصادي في ذكر ووصف الأسواق من كساد ونشاط والطرق التجارية من أمن وخوف ،وبعض مظاهر الجور التي تعرض لها الحجاج المغاربة وفي الجانب الاجتماعي أظهرت كتاباتهم بعضا من المظاهر التي كانت سائدة وطريقة لبس الناس وبعض العادات الشائعة ،أما في المجال الديني كانت كتاباتهم فيها

من الافتخار بخلو بلاد المغرب الإسلامي من البدع والخرافات التي كانت سائدة في البلاد التي مروا بها كما تطرقوا الى الاعتزاز السكان بالمغاربة والترحيب بهم مما يعكس روح التضامن والتآخي بين الشعوب الإسلامية التي فرقتها السياسة .

في المجال الفقهي تظهر لنا النوازل الفقهية الوضع الاقتصادي ،والتعاملات الاقتصادية والرخاء الاقتصادي السائد الى درجة امتلاك بعض الناس لقرى بكاملها وهذا يظهر حجم الرخاء والسعة التي سادت في ظل الموحدين الذين استطاعوا الى حد ما نشر الأمن والسلم وردع النصارى عن تعدياتهم، هذا إضافة الى بعض الظواهر الاجتماعية التي تستحق الدراسة .

الدولة الموحدية استحقت لقب اخر من حافظ على وحدة المغرب الإسلامي والتي لم تستطع أي من الكيانات السياسة اللاحقة أن تصل اليه وإن حاولت فقد ظلت حبيسة القطر نتيجة لضعفها و عدم قدرتها على الحفاظ على وحدة الأراضي التي ورثتها من الموحدين وهذا العصر يمثل خاتمة الدول القوية التي تعاقبت على المغرب الإسلامي .

الملاحـــق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

قال الفقيه الكاتب المحدث الحافظ **أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الابار البلنسي** رحمه الله.

الحمد لله وارث الأرض ومَنْ عليها من الخلق وباعث محمد رسوله بالهدي ودين الحق صلى الله عليه وآله وأصحابه ما شيم لماع البرق واستُديم همَّاعُ الوَدق.

وبعد: فهذا كتاب **التكملة لكتاب الصلة** الذي أَلَّف أبو القاسم ابن بشكوال فوصل المنفصل وطبق في معارضة أبي الوليد بن الفرضي المفصل وجاء بحسنةٍ أثمرت له الحسنى وجاد على عفاة العلم بصلة ما أسنىٰ لا جرم أنه أعاد بها من كان فانيا، وأعار الأندلس وأهلها عمراً ثانياً، كافأ الله صالح اعتماده واعتماله، وشكر له واضح احتفائه واحتفاله، من رجل ورد النمير المَعِين، ووجد الظهير والمُعين فقل في روايةِ مَنَح الرِّي ونازع فَرَيْ كيف شاء الفَريّ واتفق أن خُلِّد حتى هِيل على أترابه التراب وخبأتهم في حقائبها الأحقابُ، فانتظمهم حسابُه، وشملهم كتابه، ولو أن هؤلاء الذين جرفهم سيلُه، وصرفهم إلى حَجره ذيلُه، سمح بهم غناه وسنح له ضدُّ مأتاه، لتَلَّ أسماهم في يد من تَلاه، وأمدَّ بها من رام أن يلحق مداه، ولكن أبى إلا أن يوعب ليتْعب من بَعده، وينجز في الاستغراف والاستلحاق وعدَه، وعلى ذلك فإنه أغفل، مع أنه احتفل، وأسْأَر مع أنه أكثر، إذِ الإحاطة لله وحده. وأنا وإن كنت ما ظفرت بغير سؤال، ولا عُجتُ الا على طلل بال، إلى تشعّب حَالٍ وتقلُّب بال، فقد وفَّيت ما اقتضاه الوفاء، وعند الله في ذلك الجزاء، حتى تَيَسَّر مع الإجمال في الطلب، والاحتمال للنَّصَب، المُريح، إن شاء الله، في المُنقلب، ما بُلِغَ منه المراد، وأنجح فيه الإصدار والإيراد، على تفاوت أمريْنا من قرار واضطراب[1]، وتباين حالَيْنا من إنفاض وإتراب.

---

(١) واضطراب وتباين: من هنا يبدأ مخطوط (ع ٢) رقم ٣٥٨ كـ(خ ع).

ملحق 1 من مقدمة كتاب التكملة لكتاب الصلة ،الجزء الأول ص 5.

المذكورة وهو لم يوصِ بها إليها وإنما أوصى بها إبراهيم الأب المذكور إلى زوجه أمها حبيبة وأوصت بها أمها حبيبة المذكورة إلى أخيها وأوصى الأخ بها إلى أخته فاطمة المذكورة.

ورفعت النازلة إلى القاضي عياض فأفتى فيها (43-144).

والخامسة: في رجل أشهد على نفسه وهو عليل الجسم ثابت العقل والذهن أن جميع ما ابتاعه باسمه من أملاك قديمًا وحديثًا داخل سور مالقة وخارجها من دور وأرضين بياضًا ومشجّرة بأشجار التين وسائر الثمار عامرة وغامرة وغير ذلك مما يقع عليه اسم ملك من الرجل بكورة ريه إلى أقصى أحواز المدينة المذكورة ومنتهى أقطارها هي مشتركة بينه وبين فلانة وفلانة وفلانة بنات أخيه فلان، نصفها له في خاصيته، والنصف الثاني مشترك بين بنات أخيه المذكورات، سواء بينهن، وبعد هذا سؤال موجّه إلى القاضي عياض حول قيمة هذا الإشهاد وهل هو نافذ فأفتى بالإيجاب.

والسادسة: عبارة عن عقد ورد في كتاب الغصب هذا نصّه: (44) «يشهد من سمّى أسفله هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون المعز بن يوسف الرحوي بعينه واسمه إلى أن توفي – عفا الله عني وعنه – فأحاط بميراثه في علمهم أبناء يخلف ومدونه لا وارث له في علمهم غيرهما. ويعرفون له المحشر المعروف بمنزل عطية بنظر مدينة ابن السليم من عمل إشبيلية – حرسها الله – مالاً من ماله وملكًا من أملاكه لم يفوته بوجه من وجه الفوت في علمهم إلى أن توفي وأورثه ابنتيه المذكورين، ولا يعرفون يخلف ومدونة المذكورين فوتا شيئًا من المحشر المذكور المنجر إليهما بالميراث من أبيهما المذكور بوجه من وجوه التفويت في علمهم إلى الآن».

وبعد هذا العقد سؤال موجّه إلى عياض عن أحد ولاة تلك الجهة أراد أن يغصب أرض المحشر وحرثها فرفع أصحاب المحشر شكواهم إلى الأمير وقد أجاب القاضي عياض بأن الوالي غاصب تجب عقوبته وتغريمه.

والسابعة: عبارة عن خبر ورد في كتاب الطلاق (73) هذا نصّه:

«وحكي أن الفقيه محمّد بن عبد الله المعروف بابن القوق بلغه أن ابن مريم يفتي بالرخصة في طلاق الثلاث، فرفعه إلى القاضي فأنكر ابن مريم ذلك، فأمر به القاضي إلى السجن، فقال ابن القوق: السجن فقط! اقتله ودمه في عنقي.

ثم توفي القاضي المذكور وولّي بعده غيره، فبعث إلى دار ابن مريم أعوانًا أخذوا جميع كتبه، ثم أتوا بها، فلم يدخلها القاضي داره، وأمر بها إلى الجامع، ثم

ملحق 2 مقدمة كتاب مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ص19.

قائمة

المصادر

والمراجع